

سعود المولى*

فلسطين بين الإخوان و"فتح"

تحاول هذه المقالة دراسة العلاقة بين حركتي "فتح" و"حماس" من خلال العودة إلى سياقها التاريخي الأول، في بداياته الإخوانية الغامضة والملتبسة، الأمر الذي يسمح لنا بطرح الإشكالية الأساسية التي حكمت هذه العلاقة. فحركة "فتح" كانت من جهة، نتاج تطور فلسطيني في أزمة الإخوان المسلمين في أواسط القرن العشرين، لكنها من جهة أخرى شكلت قطيعة تاريخية مع تراث الإخوان التقليدي وتنظيمهم الديني حين هدفت إلى بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة، وأسست حركة تحرر وطني حقيقية. ويسمح لنا تتبع مسار هذه الإشكالية، بأن نشرف على الحاضر من خلال أحداث الماضي القريب، ومجرياتها.

I

الإخوان وفلسطين: البدايات

وفق رواية إسلامية معاصرة، فإن حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩) كتب في مطلع العشرينيات، حين كان طالباً في كلية دار العلوم (١٩٢٣ - ١٩٢٧)، مقالة في مجلة "الفتح" (صدرت في القاهرة في ١٠ حزيران/ يونيو ١٩٢٦ وتوقفت في سنة ١٩٤٨) ينبّه فيها إلى الخطر الصهيوني على فلسطين.^١ كما يبدو أن الحاج محمد أمين الحسيني (١٨٩٥ - ١٩٧٤) قال في رثاء حسن البنا بعد استشاده، أنه عرفه أول مرة من كتاب أرسله البنا إليه في سنة ١٩٢٧.^٢ وبحسب مصادر إخوانية،^٣ فقد بعث حسن

البنا في سنة ١٩٣١ برسالة طويلة إلى المؤتمر الإسلامي العام الذي عُقد في القدس خلال الفترة ٧ - ١٧ كانون الأول / ديسمبر من السنة نفسها، تضمنت حلولاً ومقترحات عملية لقضية فلسطين، وكان من أبرزها مسألة شراء الأرض بفلسطين. ووفقاً للمصادر الإخوانية أيضاً، فقد ردّ سماحة مفتي فلسطين على الإخوان برسالة في ٢٤/١/١٩٣٢ أعرب فيها عن تقدير المؤتمر لهم ولنشاطهم في مصر.^٤ وفي مذكرات حسن البنا نقرأ اهتمامه بخبر تأسيس جمعية عربية في أميركا غايتها بث فكرة وحدة العرب والمطالبة باستقلالهم،^٥ ويعلّق البنا على الخبر بعبارة واحدة: "كما قرروا يوم ١٧ حزيران / يونيو بدء العمل بهذا الميثاق لأنه يوم إعدام السلطة

* أستاذ جامعي لبناني.

الانكليزية لشهداء فلسطين.^{٦٧} وهو لا يعود إلى ذكر فلسطين إلا عند الإشارة إلى أحداث سنة ١٩٣٦، فيقول: "وفي هذه الأثناء تحركت قضية فلسطين وثار الشعب الفلسطيني الباسل على التصرفات البريطانية التي تمالي اليهود في كل شيء وتحرم العرب من كل شيء.. وكانت الهيئات السياسية والأحزاب في مصر منصرفة كل الانصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جديّة بحكم النعرة الوطنية الخاصة التي لم تكن قد تطورت إلى ذلك الشعور الدفاق بحق العروبة ورابطة الإسلام."^{٦٨} وشكّل الإخوان لجان دعم لثوار فلسطين، وللإضراب العام الكبير الذي استمر عدة أشهر، ونظموا المهرجانات والتظاهرات والبعثات الصيفية للطلاب إلى الريف لشرح قضية فلسطين، وجمع التبرعات المالية.^{٦٩} في نيسان / أبريل ١٩٣٦ أعلن الشعب العربي الفلسطيني إضرابه العام التاريخي، ونشبت الثورة الفلسطينية الكبرى في أعقابه، وأجمعت كلمة الشعب على إنشاء منظمة سياسية موحدة تمثله وتنطق باسمه وتتولى زعامة الحركة السياسية، فتشكلت اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني، مفتي فلسطين الأكبر.^{٧٠} وكان لتأسيس هذه اللجنة ورياسة المفتي لها أثر كبير في مصر، وبين الإخوان تحديداً الذين كانوا على صلة به منذ عام على الأقل. وكان البنّا أرسل في ٦ آب / أغسطس ١٩٣٥، اثنين من قادة الجماعة هما شقيقه عبد الرحمن (الساعاتي) ومحمد أسعد الحكيم، بمعية الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، في مهمة لفلسطين وسورية ولبنان لـ "بثّ الدعوة" و"رسالة الإخوان" و"تقوية الروابط مع مسلمي الشام."^{٧١} فالتقى المبعوثان مع المفتي الحسيني الذي "استقبلهما ببالغ الحفاوة والعطف، وزوّدهما بخطابات كريمة لرؤساء الهيئات والجمعيات في البلدان التي

سيزورونها."^{٧٢} ووفق رواية فتحي الشقاقي، "تطورت العلاقة بين الإمام البنّا والمفتي بعد الزيارة واستمرت الرسائل بينهما حتى وفاة الإمام.. كما أن الإخوان بشكل عام احتفظوا بمكانة عالية للمفتي حتى كان اسمه أحد الأسماء التي ترددت لانتخابه خليفة للبنّا كمرشد عام للإخوان مطلع الخمسينات."^{٧٣} وفي يوم السبت ٢٥ صفر ١٣٥٥ (١٧ أيار/ مايو ١٩٣٦) عُقد اجتماع كبير بدعوة من البنّا في مركز الجماعة انتهى بتشكيل اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين، التي أذاعت بيانات إلى الشعب، وبعثت برسائل إلى المسؤولين، ونظمت حملات التبرعات، وكذلك حملات "القنوت في الصلاة من أجل فلسطين."^{٧٤} ولا أظن أن دور الإخوان في القضية الفلسطينية كان سيتجاوز مسألة الدعم السياسي والمالي والقنوت في الصلاة إلى ما هو أبعد لولا وقوع "المعاهدة المشؤومة."^{٧٥} وهكذا نلاحظ تأسيس "الجوالة" (١٩٣٦)، ثم "الكتائب" (١٩٣٧) "مع بداية اهتمام الإخوان بفلسطين وبدء نشاطهم فيها، وهي القضية التي شكلت مع الاحتلال البريطاني الركيزة الأساسية لطموح الجماعة لممارسة النشاط السياسي المؤثر اجتماعياً."^{٧٥} غير أن الإخوان يقولون أنهم شاركوا في ثورة ١٩٣٦، "وحين قامت القلاقل في فلسطين أخذوا يمدون المجاهدين بما يقع في أيديهم من مال وسلاح، حتى كانت ثورة ١٩٣٦ حين نجح عدد من شبابهم في التسلّل إليها والاشتراك مع الثوار في جهادهم وخاصة في مناطق الشمال حيث عملوا مع المجاهد العربي الكبير الشيخ عز الدين القسام."^{٧٦} وكان الإخوان، في رأينا، على اتصال بالحاج أمين الحسيني الذي كان يدير الصراع السياسي لا العسكري في البلد. وعقب اندلاع ثورة ١٩٣٦، أصدر مكتب الإرشاد (حسن البنّا) بياناً إلى إخوان مصر، وإلى

عن ذلك، هناك رسائل من مكتب الإرشاد بتوقيع البنّا، أهمها تلك الموجهة إلى سفير بريطانيا وإلى رئيس الحكومة المصرية وتتعلق بقضية فلسطين (بمناسبة وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٧)، وتوجيه تحية من المؤتمر الخامس للإخوان "إلى المفتي الأكبر والمجاهدين الكرام في فلسطين المباركة وأعضاء اللجنة العربية العليا وفضلاء أعضاء الوفود الإسلامية الأمجاد بمؤتمر لندن"، إلخ.^{٢٤}

وقد تحققت من نشاطات البنّا والإخوان خلال فترة الحرب العالمية الثانية، فلم أجد أدنى إشارة إلى فلسطين.. لا بل إن درسي أو حديثي الثلاثاء والخميس الواقعين في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٩ حتى آذار/ مارس ١٩٤٠ (أي حتى صدور الأوامر العسكرية البريطانية ومنع الاجتماعات بسبب الحرب) لم يتضمن أي درس أو حديث عن فلسطين. ولا يشدّ عن ذلك سوى الرسالة الشهيرة والخطرة التي وجهها البنّا إلى رئيس الحكومة المصرية علي ماهر باشا (في ٢٠ شعبان ١٣٥٨ هـ / ٤ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٩)، والتي تعرض موقف الإخوان من جميع القضايا عند اندلاع الحرب، فهي تضمنت نقطة مهمة بشأن فلسطين تدعو "الحليفة بريطانيا إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين والسماح بعودة المهاجرين والاعتراف لهذا الوطن العربي الباسل الكريم بكامل حقوقه غير منقوصة."^{٢٥}

إذاً، خلال السنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٥ توقف كل نشاط إخواني وغير إخواني بسبب أوضاع الحرب العالمية الثانية لتنتقل مرة جديدة حملات الإخوان مع انتهائها.

غير أن توفيق الشاوي الذي كان أحد أبرز رجال "قسم الاتصال بالعالم الإسلامي"، الذي أسسه حسن البنّا كذراع خارجية للإخوان، يقول إن الحرب العالمية الثانية "كانت فترة

جميع الشعوب العربية (مسلمون ومسيحيون) يدعوهم فيه إلى الوقوف إلى جانب شعب فلسطين، ويقرر فيه أشكال الدعم وأساسها، كما جاء في البيان: "موالاته الكتابية تذكيراً بالواجب نحو فلسطين وحثّ التجار الذين يساعدون اليهود على التضامن مع العرب ومقاطعة المعتدين الغاصبين."^{١٧}

وقد استفاض الإخوان لاحقاً في الكتابة عن دورهم الكبير في نشاطات دعم فلسطين، وبالتحديد في المؤتمر العربي من أجل فلسطين، وبتمميم فكرة مقاطعة البضائع الصهيونية في مصر.^{١٨} وكان لهذه الجهود المبدولة من الإخوان تقدير وإشادة من الجانب الفلسطيني ممثلاً باللجنة العربية العليا.^{١٩}

وفي سنة ١٩٣٨، قامت لأول مرة تظاهرات عامة في جميع أنحاء مصر في ذكرى وعد بلفور المشؤوم، وكانت أول تنبيه إلى أذهان الشعب المصري في القرى والمدن بشأن قضية فلسطين، كما أنها كانت أول تظاهرات تقوم في أقاليم مصر عامة بعد تظاهرات ١٩١٩.^{٢٠}

وفي إثر نجاح المؤتمر العربي الأول من أجل فلسطين في بلودان نشأت فكرة عقد مؤتمر لبرلمانات العالم الإسلامي كله من أجل قضية فلسطين، وعُقد المؤتمر في سراي آل لطف الله في القاهرة من ٧ إلى ١١ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٨، كما عُقد مؤتمر عربي إسلامي كبير من أجل فلسطين في المركز العام للإخوان في العتبة بالقاهرة.^{٢٢}

وفي الواقع، فإن كل ما سبق يؤكد تماماً ما قاله البنّا نفسه من اقتضار مهمة الإخوان في تلك المرحلة على تقديم الدعم الأدبي والمعنوي والمالي إلى الجهاد الفلسطيني. وما سوى ذلك، ووفقاً لكلام البنّا نفسه: "انتهز الإخوان فرصة استقرار المسألة الخارجية بعض الشيء فاتهموا إلى الإصلاح الداخلي في محيطهم وفي محيط الأمة كلها [المقصود طبعاً الأمة المصرية]."^{٢٣} وفضلاً

الجناح العسكري للإخوان، والقيام بتدريبات واستعدادات، الأمر الذي فتح باب العلاقة بالضباط المصريين الأحرار من خلال عزيز المصري ومحمود لبيب وأنور السادات كما سنرى لاحقاً. وعلى ما يبدو أيضاً، فإن فترة الحرب كانت ملائمة للتحرك خارج مصر، ولافتتاح فروع للتنظيم في البلاد العربية، ولا سيما فلسطين وسورية ولبنان، وإقامة علاقات بحركات التحرر والاستقلال في المغرب الكبير (تونس والجزائر ومراكش).^{٢٨}

نشاط كبير للإخوان بالنسبة لقضية فلسطين في الحقل السياسي وخصوصاً لأن المفتي الحاج أمين الحسيني كانت له علاقة بالإخوان المسلمين عن طريق الهيئات الإسلامية في فلسطين.^{٢٦} وقد أشار البنّا إلى نشاط الإخوان في تلك المرحلة قائلاً إن الإخوان وقفوا على مناصرة فلسطين "كل جهودهم مالياً وأدبياً من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال".^{٢٧} لكن يبدو أن فترة الحرب كانت ملائمة لبناء التنظيم السري الخاص، أو

II

بالقوة.^{٢٧}

أمّا القضية الكبرى التي ينسبها الإخوان إلى أنفسهم فهي المعروفة باسم "حملة الإخوان الكبرى لتسليح المجاهدين". فقد أخذت الهيئة العربية العليا تصاريح من الحكومة المصرية بجمع السلاح وشرائه، وتم الاتصال بين الهيئة وجماعة الإخوان، فأصدر الإمام الشهيد تعليمات إلى قادة النظام الخاص وبعض قادة الجماعة ببذل أقصى جهد لجمع السلاح من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية، وشرائه من قبائل البدو في الصحراء وصعيد مصر.. كذلك قام الإخوان بإنشاء مصانع وورش لصيانة الأسلحة وإصلاحها في حلمية الزيتون للهيئة العربية العليا.^{٢٢}

وفي تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ تشكلت هيئة وادي النيل لإنقاذ القدس، وكان أعضاؤها، وعلى رأسهم حسن البنّا وصالح حرب وعلي علوبة باشا،^{٢٣} يمثلون مختلف القوى السياسية في مصر؛ وكان يمثل الجامعة فيها مصطفى مؤمن من زعماء طلبة الإخوان، ويمثل الإخوان صالح أبو رقيق. ونظمت الهيئة أسبوعاً من أجل فلسطين تم

الإخوان وفلسطين بعد الحرب الكبرى

في ذكرى وعد بلفور ٢/١١/١٩٤٥، أقام الإخوان تظاهرات ضخمة في جميع أنحاء مصر تأييداً لقضية فلسطين، وكان عنفها وشمولها تعبيراً عن موقف المصريين بصورة عامة من قضية مصير فلسطين.^{٢٩} وفي سنة ١٩٤٦ استمرت المقالات الصحافية القوية في صحف الإخوان، تكشف أبعاد القضية، وأصدر أحد رجالات الإخوان، وهو المرحوم أنور الجندي، كتاباً بعنوان: "كفاح الذبيحين: فلسطين والمغرب".

غير أن الإخوان ينسبون إلى أنفسهم أدواراً أخرى، منها على سبيل المثال، توحيد منظمتي النجادة والفتوة في فلسطين في سنة ١٩٤٧ (ودمجتهما في منظمة اسمها منظمة الشباب العربي)،^{٣٠} بعد خلاف بينهما "سارع خلاله الإخوان لرأب هذا الصدع والتوفيق بين المختلفين وانتهت جهود الإخوان إلى إرسال الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان للشؤون العسكرية قائداً ومدرباً لهذه المنظمات، وتمكن بمساعدة الهيئة العربية في فلسطين من تكوين جيش ضخم من أبناء فلسطين، ولما أحس الإنجليز بذلك أخرجوه من فلسطين

مكان إقامته الجبرية في ضواحي باريس (بوجيفال) إلى مصر.^{٣٨} كما أن علاقات الإخوان بزعماء الحركة الاستقلالية في تونس والمغرب والجزائر سمحت لهم بتنظيم نشاطات كبرى في فرنسا دعماً للقضية الفلسطينية، وبإشراك العمال العرب فيها. ولعل من أهم هذه النشاطات إعادة إحياء جمعية أصدقاء فلسطين العربية التي كان أسسها في باريس اللبناني نجيب صدقة، وإطلاق نشاطها الفرنسي بدعم من الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام وسكرتيره اللبناني أسعد داغر، وبمشاركة من الزعيم الجزائري مصالي الحاج ورفاقه محمد يزيد وشوقي مصطفى من حزب الشعب الجزائري، وعلال الفاسي القريب من الإخوان وزعيم حزب الاستقلال المغربي ورفاقه عبدالرحيم بو عبدي وعبد الله إبراهيم وعبد اللطيف بن جلون، والحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور التونسي ورفاقه جلولي فارس ومحمد الملي.^{٣٩}

وبعد عملية تهريب المفتي إلى مصر، والتي شارك فيها العمال الجزائريون في مرفأ مرسيليا (كما ساهموا في تمرير أسلحة فرنسية إلى لبنان خلال حرب فلسطين)،^{٤٠} استمرت الصلة بين جمعية أصدقاء فلسطين العربية في باريس والهيئة العربية العليا في فلسطين، وذلك من خلال مندوب المفتي هناك يعقوب الخوري الذي افتتح مكتباً للهيئة في باريس، أو بواسطة إميل خوري عضو الهيئة العربية الذي بقي إلى جانب المفتي طوال حياته.^{٤١}

وتعتبر صلة الحاج أمين بالإخوان مؤكدة، وتقوّت بتزويج ابنته من الإخواني أبي المكارم عبد الحي، وتم عقد القران في منزل ابنة حسن البنّا السيدة وفاء وزوجها القيادي الإخواني سعيد رمضان.^{٤٢} كما يذكر كامل الشريف أنه سمع شخصياً من البنّا والحسيني أنهما كانا على تنسيق سياسي واسع جداً

فيه جمع التبرعات لمصلحة المجاهدين.^{٣٤} وحين صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية، في ٢٩/١١/١٩٤٧، أعد الإخوان لتظاهرة مصر الكبرى لتأييد فلسطين التي قارب عدد المشاركين فيها نصف مليون مواطن من قيادات ورجال الأزهر الشريف والجامعات المصرية والعمال، وانطلقت من داخل جامع الأزهر. ومن القيادات والزعامات التي شاركت فيها - علاوة على حسن البنّا - رياض الصلح (لبنان)، والأمير فيصل بن عبد العزيز (السعودية)، والشيخ محمود أبو العيون (شيخ الأزهر)، وأحمد حسين (زعيم مصر الفتاة)، والقمص متياس الأنطوني، وعبد الرحمن عزام باشا، ومحمد علوبة باشا، واللواء صالح حرب "رئيس جمعية الشبان المسلمين". وفي ذاك اليوم أعلن الإخوان فتح باب التطوع للجهد في فلسطين، وتقدم الآلاف من شباب الإخوان من المحافظات كافة.^{٣٥}

ومن مذكرات المرحوم توفيق الشاوي،^{٣٦} نعلم أن قسم الاتصال بالعالم الإسلامي قام بدور كبير في بلاد المغرب العربي لجهة التعبئة والتحريض بشأن قضية فلسطين وقضية التحرر والاستقلال. وقد أدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (الحديثة الولادة) دوراً كبيراً في هذا المجال بفضل الأمين العام السيد عبد الرحمن عزام (١٨٩٣ - ١٩٧٦)، وكانت علاقته وثيقة بالإخوان المسلمين وبالشهيد حسن البنّا بصفة خاصة. ويعتقد الشاوي أن "علاقة عزام بالبنّا والإخوان وإخلاصه لقضية فلسطين وقضايا شمال إفريقيا كان من أهم الأسباب التي أدت إلى عزله من الأمانة العامة عام ١٩٥٢ عقب حركة الجيش مباشرة بدون مبرر معروف حتى الآن.^{٣٧} ووفقاً لتوفيق الشاوي أيضاً، فإن قسم الاتصال بالعالم الإسلامي قام بدور كبير في تهريب المفتي الحسيني من

سبتمبر تحت عنوان أسبوع مساعدة اللاجئين بفلسطين.^{٤٤} ويبدو كأن القضية الفلسطينية لم يكن لها ذلك التأثير الكفاحي والمسلح على خيارات الإخوان الداخلية والعربية،^{٤٥} وإنما من المفيد أن نسجل هنا تلك الروابط والعلاقات بين النخب السياسية الوطنية في المشرق والمغرب والتفافها حول فلسطين من جهة، وتعاطفها مع الإخوان من جهة أخرى. والتفسير الوحيد لذلك هو أن الإخوان ما كانوا يومها بعد تنظيمياً أصولياً أو حزباً سلطوياً، وبالتالي، فإن تطور الحركات الوطنية المشرقية والمغربية كان ذا ارتباط وثيق بمناخ عام وطني استقلالي شارك فيه الإخوان يومها، الأمر الذي يفسر علاقتهم بالضباط الأحرار من جهة، وبمؤسسي حركة "فتح" من جهة أخرى.

يشمل التعبئة الشعبية والنفسية وحتى جمع السلاح. كما كان هناك تنسيق عسكري بين الإخوان ومنظمة الجهاد المقدس التي كان يشرف عليها المفتي، وذلك في الفترة ١٩٤٧-١٩٤٨. وقد اجتمع الشريف بحسن سلامة قائد منطقة يافا للتنسيق بين تعليمات البنا والحسيني معاً، كما يذكر يوسف عميرة أن الحاج أمين كان يحترم الإخوان وآراءهم، وكثيراً ما كان يستشيرهم.^{٤٦} بعد النكبة، وفي ١ أيلول / سبتمبر ١٩٤٨، أعلن الإخوان المصريون مشروعهم لمساعدة "المشردين" في فلسطين، وقد ألقوا لجنة لهذا الغرض برئاسة الصاغ محمود لبيب المفتش العام لفرق الإخوان، على أن تكون مهمتها "محددة بتكوين لجان فرعية في المملكة المصرية لجمع الملابس والأغطية والتبرعات النقدية خلال المدة من ١٥ إلى ٢٥ أيلول /

III

السندي حاول دمج التنظيمين وأخذ موافقة حسن البنا على ذلك، إلا أن الضباط الأحرار رفضوا هذا الأمر لأنهم خافوا من الذوبان داخل بحر الإخوان.^{٤٨} غير أن هناك روايات أخرى تعيد الاتصالات الأولى للإخوان بالجيش إلى سنة ١٩٤٠. فالرئيس المصري الراحل أنور السادات^{٤٩} يروي أنه كان يقود مجموعة ثورية داخل الجيش تسعى للحصول على دعم علي ماهر وعزيز المصري المعادين بشدة للإنجليز، وأن تنحية علي ماهر من الحكومة في صيف سنة ١٩٤٠ جعلت مجموعة السادات تركز على عزيز المصري الذي كان على صلة قوية بحسن البنا إلى حد أنه كان يسعى لتوحيد الإخوان ومصر الفتاة. ويقول السادات أنه كان مع صديقه الضابط عبد المنعم عبد

الإخوان المسلمون والضباط الأحرار

في شهادات عدد من الضباط الأحرار نقراً وقائع عن قيام جمال عبد الناصر بعقد البيعة للنظام الخاص (الجهاز السري للإخوان) على المصحف والمسند مع عبد الرحمن السندي (رئيس الجهاز)، وبحضور المرشد حسن البنا، وذلك في أوائل سنة ١٩٤٦.^{٤٦} وبحسب الشهادات المذكورة، فإن الضباط السبعة الذين شكلوا أول خلية للنظام الخاص التابع للإخوان بين ضباط الجيش المصري هم: عبد المنعم عبد الرؤوف؛ حسين حمودة؛ جمال عبد الناصر؛ كمال الدين حسين؛ سعد توفيق؛ صلاح الدين خليفة؛ خالد محيي الدين الذي يؤكد ذلك في مذكراته.^{٤٧} كذلك يذكر عبد اللطيف بغدادي في مذكراته أن الضباط الأحرار كانوا على صلة بالنظام الخاص، وأن عبد الرحمن

إلا إن اللحظة التاريخية الحاسمة هي بلا شك لحظة حرب فلسطين وما تلاها، إذ يمكن القول إن تنظيم الضباط الأحرار اتخذ شكله النهائي بقيادة عبد الناصر بدءاً من سنة ١٩٤٩، وبعد اغتيال حسن البنا ووقوع الإخوان تحت سيف الملاحقة والاضطهاد، وحدث فراغ كبير في قيادتهم بسبب عدم التمكن من انتخاب مرشد يحل محل البنا حتى أواخر سنة ١٩٥١.

لعل بداية التردّي في علاقة الضباط بالإخوان تعود إلى المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من أوضاع سياسية جديدة. ولعل الجانب الأبرز يعود إلى اضطراب وضع الإخوان في أواخر سنة ١٩٤٦ ومطلع سنة ١٩٤٧ بسبب الأزمة الداخلية العنيفة التي أصابتهم، والتي قامت فيها جماعة النظام الخاص بدور سلبي. فقد أدى تزويج البنا شقيقته الكبرى من عبد الحكيم عابدين إلى فتنة، إذ إن بعض القدامى من المؤسسين خاف من منافسة عبد الحكيم لهم في مناصبهم البارزة، لما له من مواهب تؤهله للبروز في المجتمع بعد أن أصبح صهر المرشد العام.^{٥٥} وقد قاد ذلك إلى حدوث استقالات، وإلى اعتكاف مجموعات بدأت تجتمع خارج الإطار التنظيمي حتى صدرت قرارات بطرد حسين عبد الرازق (شقيق علي عبد الرازق صاحب كتاب "الإسلام وأصول الحكم") وإبراهيم حسن (الذي جمع السادات والبنا في عيادته) وأحمد السكري (أول القادة التاريخيين للإخوان بعد البنا)، وكمال عبد النبي، وغيرهم، وذلك في ١/٣/١٩٤٧.

وبحسب السادات فإن هذه الأزمة كانت بداية الاستياء لدى الضباط الأحرار الذين فقدوا الثقة بالنموذج المثالي للإخوان.^{٥٦}

ولا يمكن الفصل بين هذه الأزمة الداخلية وحقيقة ارتباطها بالموقف الإخواني المهادن لحكومة صدقي والمعارض للوفد، إذ يبدو أن

الرؤوف على صلة قوية بالإمام البنا، وإنهما اتصلا بعزيز المصري بواسطة البنا نفسه، والتقيا في عيادة إبراهيم حسن أحد قادة الإخوان، وذلك في سنة ١٩٤٠، وأنه تم الإتفاق في هذا الاجتماع على توحيد العمل بين الإخوان وجماعة مصر الفتاة وضباط الجيش،^{٥٧} بينما يذكر حسين حمودة أنه تم الاتفاق بين الفريق عزيز المصري وأنور السادات على تشكيل تنظيم سري في الجيش يرتبط بالإخوان.^{٥٨}

أمّا الرئيس المصري الأول بعد الثورة محمد نجيب فذكر^{٥٩} أن محمود لبيب، وهو ضابط تقاعد في سنة ١٩٣٦ وبدأ العمل مع حسن البنا كمستشاره الخاص لفرق الجواله وللشؤون العسكرية، وأيضاً للإشراف على تجنيد المتطوعين لفلسطين وتدريبهم، أجرى أول اتصال بالضباط الأحرار في صيف سنة ١٩٤٤، حين التقى عبد الناصر في حديقة الحيوانات بالجيزة. ويؤكد محمد نجيب أن الرجل الثاني في اللقاء مع الإخوان بعد عبد الناصر كان رشاد مهنا، ويأتي بعدهما كمال الدين حسين وحسين الشافعي، في حين أن عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة وأبو المكارم عبد الحي، كانوا من ضباط الإخوان داخل الجيش.^{٦٠} غير أن حسين حمودة يؤكد أن عبد المنعم عبد الرؤوف هو من أدخل عبد الناصر إلى الجمعية السرية للضباط في سنة ١٩٤٤ وأنه، أي عبد الرؤوف، ظل المسؤول عن التنظيم السري في الجيش حتى نكبة فلسطين (١٥ أيار / مايو ١٩٤٨)، ومتعاوناً مع "القادة الروحيين للتنظيم، وهم البنا ولبيب والمصري".^{٦١}

وفي كل الأحوال، المهم أن هؤلاء الضباط كانوا يتحلّقون ويتجمعون في أطر لم تكن بعيدة عن نشاط الإخوان وتنظيمهم، وخصوصاً قيادة النظام الخاص، وتنظيم محمود لبيب.

عبد الحي.^{٥٨}

من هذا التلخيص الموجز يتبين أن تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بثورة ١٩٥٢ في مصر، كان بحسب الإخوان، تنظيمًا إخوانيًا أساساً، وأنه ظل إخوانياً صرفاً نحو خمسة أعوام منذ تأسيسه في سنة ١٩٤٦، حتى استقلال عبد الناصر به في سنة ١٩٥٠، ومع ذلك بقي وجود الضباط الإخوان، حاضراً ومؤثراً ومتميزاً وقوياً في تنظيم "لضباط الأحرار، وبقي فيه ضباط إخوان ناشطون مثل: كمال الدين حسين، وحسين حمودة، وعبد المنعم عبد الرؤوف، وصلاح خليفة، وغيرهم، فضلاً عن التنظيم الإخواني للضباط، المستقل عن الضباط الأحرار، والذي صار يرئسه الضابط الإخواني أبو المكارم عبد الحي. وانفجر الخلاف في العلن في إثر تأليف حكومة محمد نجيب، حين قرر مجلس قيادة الثورة إشراك الإخوان عبر ثلاثة منهم على أن يكون الشيخ الباقوري أحدهم. لكن ما جرى هو أن الهضيبي وافق في البداية، وبلغ الباقوري موافقته، وذلك قبل العودة إلى مكتب الإرشاد الذي قرر بالإجماع الامتناع من المشاركة في الحكومة. أما الباقوري الذي كان الهضيبي أعلمه بموافقته على تعيينه فلم يتبلغ قرار مكتب الإرشاد، وبالتالي وافق على التعيين، ولم يقدر فيما بعد على التراجع كي لا يُسجل عليه الإخلال بالموثيق، أو نكث العهد، فكان أن جرى فصله من الجماعة لاحقاً.^{٥٩}

وبسبب هذا الموقف بدأ الانقسام داخل الجماعة بين مجموعة تؤيد الحكومة (أحمد الباقوري؛ عبد الرحمن السندي؛ صالح العشماوي؛ محمد الغزالي؛ البهي الخولي)، ومجموعة بقيادة المرشد حسن الهضيبي تتخذ منها موقفاً سلبياً، إن لم يكن عدائياً. حتى إن تعليمات وصلت بعد هذه الحادثة إلى شعب الإخوان فحواها أن موقف الجماعة سيكون منذ الآن موقفاً سلبياً من الحكومة.^{٦٠}

المنتفضين المطرودين كانوا من الوفديين الصرحاء داخل الإخوان.

غير أن ما جرى لم يقطع الصلة بسبب حاجة الضباط الأحرار إلى الإخوان كسند شعبي في حركتهم الثورية.

إلا إن الإخوان يشرحون تدهور العلاقة بينهم وبين الضباط الأحرار بالقول بنظرية المؤامرة، فهم ينسبون إلى عبد الناصر تخطيطاً جهنمياً للاستئثار بالتنظيم وبالثورة، فيقولون إنه في أيلول / سبتمبر ١٩٤٩ ظهر خلاف كبير بين الضباط البارزين في تنظيم الضباط الأحرار عبد الرؤوف وعبد الناصر؛ فعبد الناصر كان يريد الإسراع في عمل الانقلاب، ويريد فتح التنظيم (الضباط الأحرار) أمام ضباط الجيش بصورة عامة، حتى لو لم يكونوا ملتزمين بالإخوان المسلمين، ولا بالخلق الإسلامي الكريم! بينما كان عبد الرؤوف ملتزماً بالبيعة مع الإخوان، وبالطاعة لتعليمات مكتب الإرشاد للجماعة، وكان يطالب بقصر عضوية التنظيم على الضباط الإخوان، وعدم انضمام أي ضابط آخر إليه.^{٥٧}

وفقاً للإخوان، فإن عبد الناصر استقل

بتنظيم الضباط الأحرار بعد سنة ١٩٥٠،

وانفصل عن قيادة الإخوان المسلمين، وضم إليه من غير الإخوان عدداً من الضباط مثل:

عبد الحكيم عامر، وزكريا محيي الدين،

وصلاح سالم، وجمال سالم، وغيرهم.

وأمام هذا الأمر، رأت قيادة جماعة

الإخوان المسلمين الاستمرار في ربط الضباط

الملتزمين بالجماعة، وجعلت لهم قيادة

خاصة مرتبطة بقيادة الجماعة. وبما أن عبد

الناصر انفصل عن قيادة الجماعة، وبما أن

عبد الرؤوف كان في سيناء، وتعذرت عليه

ممارسة مهمات القيادة وصلاحياتها، فقد

أسند مكتب الإرشاد قيادة الضباط الإخوان

في الجيش إلى المقدم أركان حرب أبو المكارم

الانضواء تحت سياسات الدولة من دون استقلالية فكر أو عمل، برز التناقض، وبدأ الصراع يأخذ أبعاده الحقيقية. ويبدو من تصرفات الإخوان وكلامهم في تلك المرحلة أنهم كانوا يعتبرون الجيش والضباط غير قادرين على حكم البلد، وعلى بناء حكومة إسلامية، وأن عملهم يقتصر على التمهيد لذلك عبر قيامهم بالانقلاب، ثم ترك الأمور بعد ذلك للإخوان. واتسعت شقة الخلاف وصار الإخوان يهاجمون الحكومة والضباط ويتسللون إلى داخل الجيش والشرطة عبر تنظيم خلاياهم، ويسعون للسيطرة على النقابات، وذلك بتخطيط من الجهاز السري. والأمر الجديد في هذا الصراع أن عناصره كلها انتمت أو كانت تنتمي إلى الإخوان، وأن الإخوان كحركة أو كجماعة منظمة لم يكونوا في موقف موحد في أثناء مجريات الصراع.

وبعد إبعاد علي ماهر والإمساك بالحكومة الجديدة، جرى اعتقال ومحاكمة مجموعة من الضباط من مجلس قيادة الثورة المرتبطين بالجماعة (عبد المنعم عبد الرؤوف، وحسين حمودة، ومعروف الحضري، وغيرهم).^{٦١} وحين صدر قرار حل الأحزاب (١٦ كانون الثاني / يناير ١٩٥٣)، استثنى تنظيم الإخوان منه، وجرى التعامل مع أعضائه باعتبارهم حزب الثورة، أو الغطاء الشعبي لها. ويبدو أن الإخوان كانوا يريدون أن يظلوا وحدهم في الساحة، فهم رحبوا بقرار حل الأحزاب، وخافوا من قرار إنشاء هيئة التحرير، بينما كان النظام يريد استخدام الإخوان كحزب شعبي مؤيد له. وحين ظهر أن الإخوان يتعاملون مع النظام باعتبارهم أصحاب فضل عليه، وأن النظام يتعامل معهم باعتبارهم من أهل البيت وأن عليهم

IV

الإخوان في فلسطين

غزة بعد حرب فلسطين (١٩٤٨).^{٦٥} وبحسب يوسف عميرة (من مؤسسي فرع يافا في أواخر سنة ١٩٤٥، أو بداية سنة ١٩٤٦)، فقد أقيم حفل كبير عند افتتاح الفرع في يافا شارك فيه مصريون، وتولى المكتب الإداري في يافا ظافر الدجاني، ومعه ٩ أعضاء منهم الحاج محمد أمين الغلاييني، وخليل الوفائي، والشيخ حسين أحمد حسن المصري (سكرتير الشعبة).^{٦٦} وكان الافتتاح الرسمي لمكتب الإخوان في القدس في ٦ أيار / مايو ١٩٤٦، في احتفال كبير أيضاً شارك فيه مندوب من مصر هو عبد المعز عبد الستار، وقيادات فلسطينية بارزة مثل جمال الحسيني وناصر النشاشيبي والشيخ عبد الحميد السائح.^{٦٧} وفي أواخر سنة ١٩٤٦، أسس الشيخ جليل أبو غصيب من بيسان، والشيخ عبد العزيز الخياط

من المعلوم أنه خلال الحرب الكبرى انضم أفراد كثيرون إلى الجماعة في فلسطين، لكن من دون تشكيل شعب رسمية، وكانت مجلة "الإخوان" تصل إليهم بانتظام، فضلاً عن تدفق الرسل والدعاة من مصر. كذلك انضم العديد من الطلبة الفلسطينيين الذين يدرسون في مصر إلى الإخوان، مثل الشيخ مشهور ضامن بركات الذي صار رئيس المعهد الديني في عكا ورئيس شعبة الإخوان في نابلس عند تأسيسها في سنة ١٩٤٦.^{٦٨} وفي رأي البعض، فإن البداية الحقيقية كانت عند تأسيس جمعية المكارم في القدس في سنة ١٩٤٣ كواجهة للإخوان.^{٦٩} وتأسس أول فرع رسمي في غزة بعد الحرب العالمية برئاسة الحاج ظافر الشوا،^{٦٤} ثم أصبح الشيخ عمر صوان رئيس الإخوان في

عن البلدات الفلسطينية، وفي صد الهجمات الصهيونية، فضلاً عن خوض المعارك الكبيرة والحاسمة.^{٧٢} وبعد الضغوط البريطانية والمصرية سحب الإخوان مشاركتهم المستقلة وانضموا إلى معسكر الهاكستب الذي كان بقيادة الجامعة العربية، وتشكلت منه ٣ كتائب مشتركة بين الجيش والإخوان والمتطوعين المصريين، قاد الأولى منها الإخواني أحمد عبد العزيز، والثانية البكباشي عبد الجواد طبالة من الجيش المصري. وأدت كتيبة عبد العزيز دوراً كبيراً في الحرب مثلما تشهد بذلك مذكرات الضباط وشهادات مَنْ شارك في الحرب.^{٧٣} وشارك الإخوان السوريون في الحرب بقوة، وشكلوا كتيبة بقيادة زعيمهم مصطفى السباعي دخلت فلسطين وقاتلت في منطقة القدس والمثلث. كما شارك إخوان فلسطين في كتائب جيش الإنقاذ الفلسطيني، وبصورة خاصة بقيادة الجهاد المقدس^{٧٤} (عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وإبراهيم أبو دية). وكذلك شارك إخوان مسلمون من تونس وليبيا والسودان والمغرب واليمن في القتال في فلسطين وسقط لهم شهداء وجرحى.^{٧٥} وبعد ضم الضفة الغربية إلى الأردن صار إخوان الضفة ضمن جماعة الإخوان في الأردن، "وخلت مسيرتهم من عام ١٩٥٠ وحتى ١٩٦٨ من أي جهد عسكري حقيقي".^{٧٦}

وزكي المصري وعامر المصري وناظم بكير من نابلس، فرع بيسان برئاسة الخياط، ثم تولى الرئاسة الشيخ محمد فخر الدين من نابلس.^{٧٨} وفي حيفا انضم كل أعضاء جمعية الاعتصام إلى تأسيس فرع الإخوان يتقدمهم رئيس الجمعية عبد الرازق عبد الجليل؛ وحضر وفد كبير من مصر (كان بينهم سعيد رمضان) لإقناع جماعة الاعتصام بالموضوع. ولم ينضم إلى الإخوان نائب رئيس الجمعية وهو تقي الدين النبهاني الذي أسس لاحقاً حزب التحرير.^{٧٩} وتتابع خلال الفترة ١٩٤٦ - ١٩٤٧ إنشاء الفروع في كل من قلقيلية واللد ونابلس (برئاسة مشهور ضامن) وطولكرم والمجدل وسلواد والخليل، وفي شمال فلسطين ووسطها وجنوبها حتى زاد عدد الفروع على عشرين، كما يذكر حسن البنا^{٨٠} الذي زار فلسطين في ١٩ - ٢٠ آذار / مارس ١٩٤٨ يرافقه عبده قاسم وسعد الدين الوليلي والشيخ محمد الفرغلي، كما زار رفح وخان يونس حيث أقيم له استقبال حاشد، وأيضاً شعبة غزة، وكتب كلمة في سجل الزيارة.^{٨١}

وعند إعلان تأسيس دولة إسرائيل شكّل الإخوان ٣ كتائب للقتال في فلسطين: الأولى، بقيادة أحمد عبد العزيز؛ الثانية، بقيادة الشيخ محمد الفرغلي؛ الثالثة، بقيادة محمد عبده. وقامت هذه القوات بأدوار مهمة في الدفاع

V

غزة في مطلع الخمسينيات من القرن

العشرين

بعد حرب فلسطين (١٩٤٨)، كان قطاع غزة يضم ثماني شُعب للإخوان المسلمين هي: المكتب الإداري والرمال والشجاعية، في مدينة غزة، ثم النصيرات والبريج ودير البلح وخان

يونس ورفح. أمّا في الضفة الغربية فلم يكن هناك نشاط خاص، وإنما كان النشاط من خلال الهيئات الإسلامية الموجودة منذ زمن العلاقة بالمفتي الحسيني وبعز الدين القسام. وكانت شُعب قطاع غزة تتبع المكتب الإداري بطبيعة الحال، وكانت المناهج الدراسية والتربوية هي نفسها المتبعة في مصر. وقد

وظهر في محيط طلبة الإخوان تكتلان التّفّ أحدهما حول سليم أديب الزعنون، وبينما التّفّ الآخر حول حسن عبد الحميد صالح. ومجموعة الشباب التي تجمعت حول سليم الزعنون أطلقت على نفسها اسم "كتيبة الحق"، وقد انضم أعضاءها جميعاً فيما بعد إلى حركة "فتح"،^{٨٠} بينما استمر صالح في تنظيم الإخوان، ورفض تكتل "فتح" باعتباره خروجاً على النظام الخاص.

وحين قامت ثورة يوليو كان الانطباع العام لدى إخوان غزة أن حركة الجيش هي من صنع الإخوان، أو ما يقرب من ذلك. ولذا انضم الكثيرون من عليّة القوم ومن كبار الموظفين إلى الإخوان في غزة لكي ينالوا الحظوة لدى السلطة. وقد أصبح معظم رؤساء الشّعب وأعضاء إدارتها من هذا الصنف إذ إن فتح الشّعب تزامن مع بداية عهد الثورة.^{٨١} لكن مع الصدام بين الضباط والإخوان، وصدور قرار حل الإخوان في مصر (١٩٥٤/١/١٤) وما تلاه من اعتقالات، انفضّ أكثر هؤلاء عن التنظيم، ومنهم رئيس المكتب الإداري للإخوان في القطاع الذي كان رئيساً للبلدية بالتعيين، والذي أصدر بياناً يؤيد فيه خطوات الضباط وإجراءاتهم. ولم يبق في غزة غير أفراد قلائل، وانحلت الشّعب، وانضم من بقي إلى أسرة واحدة واصلت اجتماعاتها الأسبوعية من دون أي نشاط آخر. وكان يرافقهم القاضي المصري مأمون حسن الهضيبي الذي كان عضواً في المحكمة العليا في غزة.^{٨٢}

ولا توجد معلومات عن انعكاسات الانقسام الذي وقع بين إخوان مصر في سنة ١٩٥٤ على الوضع الإخواني في غزة، ولا سيما أن أحد أطراف هذا الانقسام، وهو الشيخ محمد الغزالي، كان مبعوثاً أزهرياً في القطاع، وأن ابن الطرف الآخر كان أيضاً في غزة (مأمون حسن الهضيبي). لكن من شهادة عبد الله أبو

استقبل قطاع غزة في الخمسينيات الشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد الأباصيري والشيخ محمود عيد، كمبعوثين من الأزهر، وهؤلاء كانوا في الوقت نفسه من الإخوان. وكان هناك صلة قوية بين إخوان غزة وإخوان العريش المصرية (القريبة جداً جغرافياً)، وخصوصاً لوجود كامل الشريف في العريش (قائد كتائب الإخوان في حرب ١٩٤٨). وكانت أنشطة الإخوان تشمل المحاضرات العامة في الشّعب وخطب المساجد واجتماعات الأسر والكتائب والمعسكرات الكشفية التربوية والدعوة عن طريق الاتصالات الفردية الشخصية، كما أن الحركة ضمت أقساماً للطلاب والعمال، وكان القسم الطالبية أكثرها نشاطاً.^{٧٧}

وكان هناك أيضاً نشاط سري يُعنى بالتدريب على استعمال السلاح وعلى جمع مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة وتخبئتها. ويبدو أن التنظيم السري المسلح للإخوان (النظام الخاص) كان له قواعد قوية بين إخوان غزة والعريش، بسبب الصلة بالضباط والعسكر والسلاح منذ حرب فلسطين. وكان كامل الشريف يوجه التنظيم السري من العريش، وكان صلة الوصل بينه وبينهم محمد أبو سيدو الذي كان يتولى مسؤولية التنظيم وإيصال الأوامر إلى أفرادهِ في القطاع الذي كان مقسوماً إلى ثلاثة أقسام: الشمال والوسط والجنوب. وكان أبو جهاد خليل الوزير مسؤولاً في منطقة غزة (شمال القطاع)، وفي خان يونس (المنطقة الوسطى)،^{٧٨} ومحمد يوسف النجار في رفح (جنوب القطاع). ونفّذ هذا التنظيم عدداً من العمليات الفدائية، وخصوصاً بالتعاون مع البدو عن طريق عبد الله أبو مريحيل ومحمد حسن الإفرنجي. وقد استفاد الإخوان من وجود ضباط مصريين إسلاميين في الجيش المصري قاموا بتدريبهم سراً من أمثال عبد المنعم عبد الرؤوف.^{٧٩}

ضد العدو في الأراضي المحتلة مثل زرع الألغام ونسف بعض المنشآت وتخريب خطوط المياه والكهرباء. ولا ننسى أن جماعة "النظام الخاص" العسكرية كانت ضد قيادة الهضيبي لإخوان مصر، كما أنها كانت صلة الوصل مع مجاهدي فلسطين. وفي تلك الفترة نفسها، قامت مصر بإدخال قوات من الحرس الوطني المصري إلى قطاع غزة، وبتنظيم عمليات فدائية بواسطة فلسطينيين، وذلك بإشراف مدير استخبارات القطاع مصطفى حافظ (اغتاله الإسرائيليون لاحقاً بواسطة طرد بريدي ملغوم). وقام إخوان غزة (بقيادة خليل الوزير) بعدة عمليات أدت إلى اعتقال الوزير وتعذيبه في إدارة المباحث في السرايا (مقر الحكم والإدارة في غزة)، وكان لا يزال طالباً في نهاية المرحلة الثانوية.^{٨٥}

ووفقاً لأبو جهاد^{٨٦} فإن الدافع إلى هذه العمليات لم يكن توريث السلطات المصرية في حرب مع إسرائيل يتمناها الفلسطينيون، ولا كان الانتقام من الضباط الانقلابيين بسبب حملتهم على الإخوان، وإنما كان هناك "هدف كبير وخطير" يتمثل في إفشال "المشروع الأميركي - المصري لتوطين اللاجئين في سيناء". وروى أبو جهاد كيف تعاقبت حكومة عبد الناصر مع وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، "ومن خلفها كانت تقف أميركا"، على توطين اللاجئين وإسكانهم في شمال غرب سيناء.^{٨٧} وبغض النظر عن الاتهامات الإخوانية للنظام الناصري بأنه كان "يعقد آمالاً كبيرة على الأميركيين في بداية عهده وحتى العام ١٩٥٥، وأنه لذلك كان ميالاً إلى تصفية الجزء المصري من قضية اللاجئين (أي تكدهم في غزة)"،^{٨٨} فإنه يبدو فعلاً أن شيئاً ما كان في قيد الترتيب بدليل قيام تظاهرات في القطاع، ومسارعة الإدارة المصرية إلى إصدار بيانين:

غزة نعلم أنه لم يبق من القياديين الإخوان في غزة غير بضعة أفراد "لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة. ويرافقهم مأمون الهضيبي. وقد انحل الهيكل التنظيمي الرسمي والعلمي وهرب الكثيرون"، إلى حد أن أبو عزة يعترف بأنه أصيب جرّاء ذلك "بانهيار جسدي ونفسي".^{٨٩} وخلال الفترة من سنة ١٩٥٤ (تاريخ حل الإخوان) حتى سنة ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي واحتلال القطاع)، كان "وضع الإخوان في غاية الضعف. لقد انفض رؤساء وأعضاء إدارات الشعب وذوو الأسماء والوزن العلمي أو الاجتماعي، ولم يبق إلا أعداد قليلة من الشباب الصغار".^{٩٠} والحقيقة أنني لم أستطع الحصول من أبو جهاد على معلومات وافية بشأن الموضوع لأنني في فترة اللقاءات به كنت مشغولاً بمعرفة تفصيلات انطلاق "فتح" والكفاح المسلح، ولم أكن أعير موضوع الإخوان المسلمين انتباهاً (لم تكن حركة "حماس" تشكلت بعد). كما أن قادة "فتح" كلهم لم يذكروا في أحاديثهم ومذكراتهم ورواياتهم عن تلك المرحلة أي إشارة إلى سابق انتمائهم إلى الإخوان وكيفية خروجهم منه. وفي اعتقادي، فإن الشيخ محمد الغزالي ورفاقه المبعوثين الخارجيين على سلطة المرشد الهضيبي، كان لهم بلا شك تأثير في إخوان غزة، إلا إن التأثير الأساسي جاء من مجريات هذا الصراع نفسه وأثاره السياسية والمعنوية من حيث انكشاف غرق الإخوان في حسابات "دنيوية" بعيدة كل البعد عن العناوين الكبرى، ومن حيث انفراط عقد التنظيم وانهيار قياداته، فضلاً عن اكتشاف عدم أولوية فلسطين في برنامجهم. فكان اعتزال الكثيرون قرافاً، بينما لم يكن في إمكان عدد من الفلسطينيين المقاتلين أن يعتزلوا في وجه عدو محتل مستوطن ومجرم، فقرروا التقدم إلى الأمام. وهكذا تطور بين إخوان غزة "الفارطين" عمل شبه عسكري قام بعمليات

فعل متغترسة من الكيان الإسرائيلي، فيقوم بارتكاب المذابح وقصف المدنيين. وقد أحدثت مذبحه غزة، التي قامت بها القوات الصهيونية في ٢٨ شباط / فبراير ١٩٥٥، وقتلت ٣٩ شهيداً وجرحت ٣٢ آخرين، انتفاضة عارمة في القطاع في ١ آذار / مارس ١٩٥٥، أخذت تطالب الحكومة المصرية بإعطاء الحرية للعمل الفدائي الفلسطيني، وتوفير السلاح.^{٩٣} وافقت الحكومة المصرية تحت هذا الضغط، ووضعت العمل الفدائي بإشراف الضابط المصري مصطفى حافظ. وتدفق الآلاف للتطوع، وزاد عدد الفدائيين العاملين عن ١٠٠٠، وقاموا بعمليات يومية خاطفة، وأحياناً بعمليات كبيرة واسعة. ونشط هذا العمل بدءاً من أيلول / سبتمبر ١٩٥٥ حتى تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٦، واستشهد مصطفى حافظ في ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٦ جزاء انفجار طرد ملغوم أرسله إليه رجال الموساد الإسرائيلي عن طريق عميل مزدوج.^{٩٤} وتوقف العمل الفدائي عن طريق قطاع غزة في إثر الاحتلال "الإسرائيلي" للقطاع وسيناء (أواخر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٦ - ٦ آذار / مارس ١٩٥٧).

الأول في ٢٨ أيار / مايو ١٩٥٣، والثاني في ٩ أيلول / سبتمبر ١٩٥٣.^{٩٥} كما أن نائب الحاكم العام للقطاع خاطب الأهالي كي يؤكد أن الأونروا "تقدمت بمشروع لإسكان وتشغيل اللاجئيين في شبه جزيرة سيناء وغزة"، وأن بيان ٥/٢٨ كان يعني الاعلان الرسمي بشأن "إرجاء البحث في هذا الموضوع." ثم قال: "إن موضوع إسكان اللاجئيين هو محل إعادة نظر السلطات المختصة في الوقت الحاضر ولن تتخذ فيه أية إجراءات أو خطوات إلا بما يحقق أمان الفلسطينيين ومصالحهم.. ولذلك نلفت النظر إلى أن الحديث حول هذا المشروع قد أصبح غير ذي موضوع."^{٩٦}

وبحسب أبو جهاد، فإن العمليات العسكرية الفدائية تصاعدت انطلاقاً من قطاع غزة بحيث صارت تقلق دولة إسرائيل الحديثة الولادة.^{٩٧}

ومن العمليات المهمة التي أثارت دويماً كبيراً عملية الباص في ١٧ آذار / مارس ١٩٥٤، والتي هاجمت فيها مجموعة فدائية باصاً إسرائيلياً على طريق إيلات - بير السبع، قرب معاليه أكرهيم، الأمر الذي أدى إلى مقتل ١١ إسرائيلياً وجرح ٣ آخرين.^{٩٨} وكانت العمليات الفدائية تقابل بردات

VI

أبو جهاد وكمال عدوان المرحلة الأولى التمهيدية)^{٩٩} تميزت في بادئ الأمر بشيوع الذهول والحيرة بين صفوف الجماهير في الأعوام التي تلت النكبة واللجوء، إذ حرصت الأنظمة العربية على قمع أي نشاط سياسي في المخيمات وأماكن التجمعات الفلسطينية (وخصوصاً في دول الطوق)، كما أنها شهدت انخراط الشباب الفلسطيني في العمل السياسي والحزبي والعقائدي (من خلال الإخوان

حركة "فتح": الميلاد والمسيرة

بعد أحاديث كثيرة مع الشهيد خليل الوزير^{٩٥} خرجت برأي فحواه أن الشهيد القائد يرى في مرحلة ١٩٤٨ - ١٩٥٧ المهة الفعلية لنشوء حركة "فتح" من رحم الإخوان في غزة من جهة، كما أنها كانت من جهة أخرى، المعجن والمخبز للأفكار والتطلعات التي تطورت لتحدث قطيعة فكرية وسياسية ونفسية مع الإخوان. فهذه المرحلة (ويسمونها

وعلي بشناق وأحمد جبريل في سورية، وأحمد زعرور وعبد الله العجرمي وعصام السرطاوي في مصر، وصالح سرية في العراق، علاوة على مجموعة شفيق الحوت ومحمد الشاعر في لبنان، والقوميين العرب المستقلين أحمد السعدي وبهجت أبو غربية وصبحي غوشة في الأردن والصفة الغربية). إلا أن التجربة الأهم هي تلك التي قامت بين اللاجئيين في قطاع غزة الذين كانوا على تماس مع بقايا كتائب المتطوعين من الإخوان المسلمين والضباط الأحرار بعد نكبة ١٩٤٨. ويبدو أن تجربة الإخوان في حرب فلسطين استهوت عدداً من الشبان في غزة (أبرزهم خليل الوزير وياسر عرفات ومحمود عباس وصلاح خلف وحمد العايدي ومحمد الإفرنجي) اتصلوا بالضباط الإخواني المصري عبد المنعم عبد الرؤوف. واستمرت الصلة بالإخوان حتى اندلاع الصدام العنيف بينهم وبين النظام الناصري في سنة ١٩٥٤ بعد إبعاد محمد نجيب وسجن وطرد ضباط الإخوان.^{٩٨} وروى أبو جهاد كيف أنه كان يتدرب على السلاح منذ سنة ١٩٤٩ على يد ضباط مصريين من الإخوان في قطاع غزة، وأنه قام معهم بعدة عمليات عسكرية ضد الاحتلال خلال الفترة ١٩٥٠ - ١٩٥٤.^{٩٩} وفي الواقع، فإن الشباب الفلسطيني اللاجئ في غزة اعتمد على وجود هؤلاء الضباط المجريين للتدريب وتخزين السلاح، فبين سنتي ١٩٥٣ و١٩٥٧ كان هناك أكثر من ٥٠ مجموعة صغيرة في مخيمات وتجمعات اللاجئيين في غزة، لم يكن بينها أي تنسيق أو حتى اتصال، وكان كلها يبحث عن التشكل في هيكلية تشبه جبهة التحرير الجزائرية أو جبهة التحرير الفيتنامية (وهاتان انطلقتا في سنة ١٩٥٤).^{١٠٠}

فالمثال الذي كان يداعب خيال هؤلاء الشباب هو المثال الوطني التحرري الذي تقوده حركة ثورية مسلحة.

المسلمين والحزب القومي السوري وحزب التحرير). أو في انتظار التحرير على يد قادة الانقلابات العسكرية (من حسني الزعيم في سنة ١٩٤٩ إلى محمد نجيب وجمال عبد الناصر في سنة ١٩٥٢). وشهدت هذه المرحلة أيضاً غياب القيادات التقليدية والتاريخية الفلسطينية وتفكك العلاقات الاجتماعية الحاضنة للحراك السياسي بفعل التشتت واللجوء في المنافي، فضلاً عن كمية المشكلات اليومية التي اعترضت اللاجئيين في حياتهم البائسة في المخيمات، ومظالم الاستخبارات العربية، الأمر الذي أوجد بين جيل الشباب حالات كثيرة من البحث عن أطر تملأ الفراغ وتوحد الطاقات وتحمي الناس، كما أن عدداً كبيراً من الشباب اضطر إلى الهجرة إلى الخليج هرباً من الملاحقة، أو بحثاً عن لقمة العيش. وفي تجمعات الخليج كان الشعور بالمرارة هو السائد، وقد تولد منه شعور بضرورة القيام بعمل ما لإنقاذ هذا الشعب من حالة اليأس واليأس.^{٩٧} وشهدت المرحلة ولادة عشرات التجمعات والمجموعات الصغيرة من الشبان، التي بدأت تدرس التجارب الثورية للشعوب (وخصوصاً تجارب الصين وكوبا والجزائر وفيتنام، وكانت في أوج انطلاقها الثورية) بعد أن فقدت أملها بالثوار العرب الانقلابيين (بسبب تكاثر وتعدد الانقلابات السورية وتصفياتها الداخلية، وكذلك جزاء الصدام الكبير بين محمد نجيب وعبد الناصر أولاً، ثم بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين بعد سنة ١٩٥٤ ثانياً). وليس مصادفة أن تولد في تلك الأجواء نواة حركة القوميين العرب على يد شبان فلسطينيين يدرسون في بيروت، أو أن تنشط مجموعات كثيرة داخل الجيوش العربية (وجيش التحرير الفلسطيني) حملت كلها اسم جبهة تحرير فلسطين، أو جبهة التحرير الفلسطينية (أبرزها مجموعات الضباط عثمان حداد وعبد اللطيف شرورو

ثانوية فلسطين في غزة لتشيّع ٣٨ جندياً
مصرياً من كتيبة فلسطين التي كان يقودها
عبد المنعم عبد الرؤوف، والذين وقعت
دوريتهم في كمين إسرائيلي.^{١١١}

ويقرر أبو جهاد أن نقطة التحول الرئيسية
لدى هؤلاء الشباب لتشكيل حركة وطنية
فلسطينية تحريرية كانت في ٢٩ شباط /
فبراير ١٩٥٥، حين انطلقت التظاهرات من

VII

فضلاً عن أن انتصار الثورة الجزائرية وحدث
الانفصال المصري - السوري هو الذي عزز
صدقية طروحات "فتح"، وتكوين إجماع
فلسطيني على سلامة خطها الوطني.
في شباط / فبراير ١٩٥٩ صدرت مجلة
"فلسطيننا" في بيروت كي تكون لسان حال
الحركة الجديدة، وقد رعاها وشارك فيها عدد
من أبناء العائلات البيروتية المعروفة (حوري؛
بلعة؛ شاتيل؛ فاخوري؛ آغا؛ سلام) الذين
كانوا على صلة بجماعة عباد الرحمن الدينية
التي تستحق علاقتها بمؤسسي حركة "فتح"
دراسة خاصة نظراً إلى كون الجماعة تعبيراً
عن صراع غير معروف في داخل الإخوان
نتج منه افتراق بينها وبين وليدها الإخواني
اللبناني (الجماعة الإسلامية).
كان مؤسسو حركة "فتح"، في معظمهم،
من اللاجئين الذين وفدوا إلى قطاع غزة بعد
سنة ١٩٤٨، أمثال محمد يوسف النجار (أبو
يوسف) وسليم الزعنون (أبو الأديب) وخليل
الوزير (أبو جهاد) وصلاح خلف (أبو أياد)،
وقد بدأوا حياتهم السياسية في حركة الإخوان
المسلمين لأنهم لم يجدوا أمامهم في غزة آنذاك
إلا الإخوان والشيوعيين. وكان الشيوعيون
يدعون إلى التعايش مع إسرائيل، ووافقوا
على قرار التقسيم في سنة ١٩٤٧، فنفر
منهم اللاجئون، ولهذا، على الأرجح، التحقت
طلائعهم بجماعة الإخوان المسلمين.^{١١٢}
التحق خليل الوزير بالإخوان المسلمين في
سنة ١٩٥١، وبادر إلى تأسيس مجموعات

الإخوان و"فتح" بعد الانطلاقة والحرب الشعبية

كان العدوان الثلاثي حافزاً على التفكير
في ضرورة التنظيم الوطني والحركة التحريرية
والقيادة الفلسطينية المستقلة عن الأنظمة
العربية. فقد بدأ الشباب الفلسطيني يطرح
"تفكيراً جديداً وشعارات جديدة تدعو إلى لقاء
فلسطيني عريض ووحدة وطنية قوية من أجل
ثورة مسلحة تحرر الأرض [...]".^{١١٣} وكان
اتحاد طلبة فلسطين في غزة (كانت إدارته
تضم ٤ مدرسين و٧ طلاب، وكان بقيادة أبو
جهاد)، ورابطة فلسطين في مصر (بقيادة
عرفات)، ومجلتهما المشتركة "فلسطين"
الصادرة في القاهرة، هي الحاضنة لولادة
هذا الحراك الشبابي والفكري الذي انتهى إلى
تشكيل حركة "فتح"، وخصوصاً بعد انتقال أبو
جهاد إلى الدراسة في القاهرة واللقاء بياسر
عرفات وسليم الزعنون ومحمود عباس وصلاح
خلف،^{١١٤} ومن هناك توزع الرفاق للعمل ما
بين السعودية والكويت وقطر، بينما كان هائل
عبد الحميد وخالد وهاني الحسن ينشطون بين
الطلاب في ألمانيا وأوروبا. وهكذا كانت ولادة
فتح بين سنتي ١٩٥٦ و١٩٥٨، وأعتقد أن
أحداث سنة ١٩٥٨ من قيام الوحدة المصرية -
السورية، وتصاعد الثورة الجزائرية، ثم انقلاب
عبد الكريم قاسم في العراق، والثورة في لبنان،
هي التي تفسر مفصلة هذا التاريخ بالنسبة
إلى الحراك الوطني الفلسطيني التحرري،

وكذلك كان هناك أبو جهاد، وأبو عمار، وأبو الأديب. وقد انسجمت مجموعة قطر مع مجموعة "فتح" في الكويت، وقررت الانضمام إليها لتكون فرعها في قطر.^{١٠٧} وساعد على الالتقاء أن هؤلاء جميعاً كانوا إما في رابطة الطلاب الفلسطينيين في الخمسينيات، وإما في اتحادات الطلبة الفلسطينيين حول العالم. وتوزع أعضاء حركة "فتح" الأوائل من القاديين من صفوف الإخوان على مختلف العواصم العربية: ففي الكويت كان ياسر عرفات وعبد الفتاح حمود وخالد الحسن وعبد الله الدنان ويوسف عميرة وعادل عبد الكريم وكمال عدوان وزهير العلمي وتوفيق شديد؛ وفي قطر كان محمود عباس ومحمد يوسف النجار ومحمود المغربي؛ وفي السعودية صلاح خلف ووليد أحمد نمر الحسين (أبو علي إياد) وممدوح صيدم ورفيق النتشة؛ وفي الجزائر خليل الوزير ثم منهل شديد؛ وفي غزة سليم الزعنون ورياض الزعنون وأسعد السفطاوي ومعان عابد وهاشم الخازندار وحمد العايدي وغالب الوزير وسعيد المزين؛ وفي دمشق محمود الخالدي؛ وفي ليبيا محمود أبو الفخر وكمال السراج (أبو نبيل). وفي الكويت كان هناك هاني القدومي الذي شغل منصب سكرتير أمير الكويت عبد الله السالم الصباح، الأمر الذي مكّنه من استخراج التأشيرات لرفاقه بحكم موقعه. وكان هناك خالد الحسن الذي كان مسؤولاً في حزب التحرير الإسلامي، وكذلك شقيقه الأكبر علي الحسن الذي كان من زعماء الإخوان المسلمين. كذلك تم استقطاب الشيخ محمد أبو سردانة ومحمد غنيم (أبو ماهر) ومحمود فلاحه وآخرين في الأردن، كما جرى ضم الحاج مطلق ومحمد علي الأعرج (أبو الرائد) وماجد أبو شار وعبد العزيز السيد وسليمان أبو كرش

مستقلة قليلة العدد شرعت في التدريب على السلاح في معسكرات بدائية أقيمت سرّاً في ضواحي مدينة العريش في سنة ١٩٥٢ (ويبدو أنه اتصل بجماعة النظام الخاص من خلال هذا التدريب وبواسطة كامل الشريف)، وكان معه في هذه المجموعات حمد العايدي (أبو رمزي) وكمال عدوان ومحمد الإفرنجي وعبد الله صيام ونصر عبد الجليل، ثم انضم إليهم لاحقاً سليمان الشرفا (أبو طارق) ومعان عابد (أبو سامي) وسعيد المسحال ومنهل شديد وسعيد المزين وغالب الوزير.

واضطر خليل الوزير إلى مغادرة قطاع غزة في أواسط سنة ١٩٥٦ للالتحاق بجامعة القاهرة، وهناك توثقت علاقته بياسر عرفات الذي كان التقاه في غزة سابقاً. لكنه لم يتابع دراسته، وسافر إلى السعودية كي يعمل في سلك التعليم، غير أنه لم يتمكن من البقاء فيها أكثر من ثلاثة أشهر، وإنما ذهب إلى الكويت ليلتقي ياسر عرفات مجدداً، ويبدأ بتأسيس حركة "فتح".^{١٠٨}

وانسحب صلاح خلف (أبو إياد) من الإخوان في سنة ١٩٥٥، وأسس مجموعة صغيرة باسم "جبهة الكفاح المسلم الثورية" انضمت إلى "فتح" في سنة ١٩٥٩. وكان محمود عباس طالباً في سورية، وأسس هو ومحمود المغربي ومحمد السهلي "مجموعة طلاب فلسطين" التي عملت على تدريب الفلسطينيين على السلاح في الكليات العسكرية السورية، ونجحت في ذلك.^{١٠٩} وفي ١٣/٩/١٩٥٧، ذهب عباس إلى قطر، وبدأ ببناء تنظيم جديد كان يضم أبو يوسف النجار وأبو طارق الشرفا، ثم بعد ذلك، التحق بهم سعيد المسحال، وكمال عدوان، وعبد الفتاح حمود، ورفيق النتشة.

وكان هناك في الكويت أصدقاء لهم من سورية مثل: عبد الله الدنان وعادل عبد الكريم ومنير سويد (كان شيوعياً وترك الحزب).

وغيرهم. وبحسب أبو الأديب، فإن عرفات غادر مصر متوجهاً إلى الكويت حيث عمل مهندساً، وقد التقى هناك خليل الوزير الذي كان مدرساً فيها، واتفق الرجلان، مع يوسف عميرة الذي كان من الإخوان المسلمين، على فكرة الكفاح المسلح. والتقى هؤلاء مع شابين من فلسطينيي سورية هما عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان، وبعدها جرى استقطاب فاروق القدومي وسليم الزعنون وخالد الحسن، وكان هؤلاء أول لجنة مركزية لـ "فتح"، أي مؤسسي الحركة. وعُقد أول اجتماع للجنة المركزية الموسعة، وفيها أبو الأديب، في سنة ١٩٦١، "وكان الإخوان المسلمون يصبون غضبهم على ثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية هم يوسف عميرة، سليم الزعنون، وصلاح خلف، فقد اعتبروا أننا أخذنا معنا مئات من الأشخاص الذين كانوا في حركتهم"،^{١٠٨} كما تعرض محمد يوسف النجار لمحاكمة إخوانية، وصدر بحقه قرار بالفصل من التنظيم.^{١٠٩} وبحسب أبو مازن، فقد تشكلت اللجنة المركزية الأولى من: ياسر عرفات (أبو عمار)؛ خليل الوزير (أبو جهاد)؛ عبد الله الدنان (فتحي القاضي)؛ عادل عبد الكريم (نبيل حمدان)؛ محمود عباس (أبو مازن)؛ محمد يوسف النجار (أبو يوسف)؛ محمود أبو الفخر؛ محمود الخالدي؛ حسام الخطيب؛ محمد الإفرنجي.^{١١٠}

VIII

التنظيم الأردني.^{١١١} وكان الدافع الأساسي إلى هذا الاجتماع، وإلى إعادة التنظيم، هو التهديد الجدي الذي شكلته لهم حركة "فتح" التي صارت تستهوي قطاعات واسعة من كوادر وقواعد الإخوان الذين كانوا يتركون تنظيمهم ويلتحقون بها.^{١١٢} وكان هذا التهديد مصيرياً إلى حد أن أحد قادة الإخوان قال إنه "هدد وجودهم تهديداً خطيراً، حيث تعرضوا لضغوط ذات طبيعة مختلفة عما اعتادوه وذلك من أجل إغرائهم بترك تنظيمهم والانخراط في تنظيم جديد. وكان هذا الضغط يلاحق الإخوان الفلسطينيين أينما حلوا، في قطاع غزة وفي مصر والأردن وسورية والعراق وأقطار الخليج. وكانت الجهة الضاغطة تعرف عناصر الإخوان وأماكن وجودهم... فكانت تلاحقهم وتتصيدهم وتنصب الشباك لأفرادهم في كل مكان [...]".^{١١٣} وفي الواقع، فإنه في تموز / يوليو ١٩٥٧ ورّع أبو جهاد وثيقة خطيرة من بضع

الردّ الإخواني

بعد انقراط عقد إخوان غزة وتشكيل حركة "فتح" عاش إخوان فلسطين حالة تشتت كان عنوانها الأبرز تدخل إخوان مصر في عملية إعادة التنظيم استناداً إلى الفلسطينيين المقيمين خارج غزة، وتنظيم طلاب قطاع غزة في جامعات مصر. فإخوان فلسطين الذين كانوا خارج قطاع غزة ومصر صاروا جزءاً من تنظيمات البلاد التي يعيشون فيها، أمّا الطلاب فكانوا يعودون في العطلات الجامعية إلى القطاع، فينخرطون في تنظيم غزة، ويساعدون القطاع في عملية التنظيم والبناء. وفي سنة ١٩٦٠ اتخذ تنظيم مصر قراراً بإعادة تشكيل التنظيم الفلسطيني، وذلك في اجتماع عام عُقد في القاهرة في سنة ١٩٦١، وحضره كوادر الإخوان من غزة ومصر وسورية والأردن ومنطقة الخليج، وتقرر فيه ترك الإخوان الفلسطينيين في الأردن ضمن

جاء في هذه المذكرة التاريخية (التي لم نعثر للأسف على أي أثر لها) هو الخط العام لحركة "فتح" الذي اشتهرت به، واستطاعت من خلاله كسب الجماهير الفلسطينية.

وبحسب أبو عزة فإن المذكرة تضمنت لفتة خاصة إلى وضع الإخوان الفلسطينيين، إذ إن أبو جهاد حاول دغدغة مشاعرهم من خلال القول إن هذا التنظيم الوطني المستقل سيفتح الأبواب بينهم وبين الجماهير بعد أعوام العزلة والتشتت، ويفك عنهم الحصار الناصري، كما أن الكفاح المسلح سينقل القضية الفلسطينية إلى مستوى لا تستطيع الأنظمة تطويقه.^{١١٥}

ويبدو من شهادات إخوانية لاحقة أن المذكرة أحدثت بلبلة في صفوف الإخوان "شغلتهم ما يزيد على الثلاث سنوات إلى أن توصلوا إلى رأي واضح محدد وحاسم حيال تلك الفترة، ولكن بعد أن فقدوا عدداً كبيراً من أنشط عناصرهم."^{١١٦} ويعتقد أبو عزة (عن حق) أن مذكرة أبو جهاد لم تكن هي الخطوة الأولى على طريق تأسيس "فتح"، وإنما سبقتها خطوات أخرى قام بها هو ورفاقه، وأن المذكرة هدفت إلى "تقريب الإخوان إلى المدى الذي وصلوا إليه."^{١١٧} ويذكر كمال عدوان أن حركة "فتح" وُلدت في سنة ١٩٥٨، وأنه لم يمض عام حتى كان قد انضم إليها عدد كبير من إخوان غزة على رأسهم سعيد المزين وغالب الوزير وسليم الزعنون وصلاح خلف وأسعد السفطاوي، وهذان الأخيران كانا يعملان مدرّسين في مدرسة خالد بن الوليد الثانوية في منطقة النصيرات، بينما كان الزعنون وكيل نيابة قطاع غزة.^{١١٨}

واضطر التنظيم الدولي للإخوان ومركزه مصر إلى أن يعقد الاجتماع الفلسطيني الذي أشرنا إليه، وذلك لإعادة لملمة التنظيم الذي فقد أفضل عناصره وكوادره في غزة. وبعد لقاء القاهرة في سنة ١٩٦١ صاغ إخوان غزة مذكرة سياسية مطولة في نحو ٢٠ صفحة فولسكاب

صفحات كانت، في اعتقادي، هي النص التأسيسي لمعنى حركة "فتح" كحركة تحرر وطني تقوم على أنقاض تفسخ الإخوان والضباط الأحرار، وتطرح في أواسط الخمسينيات تشكيل إطار وطني جامع شامل يستنهض الشعب الفلسطيني، ويركز جهوده وقواه صوب فلسطين من خلال مزج خلّاق (ندر نظيره) بين الإسلام والوطنية المدنية، بين الأصالة والمعاصرة، بين التنظيم الحركي والتيار الجماهيري، بين العمل السياسي والكفاح المسلح، بين التعددية الفكرية السياسية والمركزية الكفاحية. والوثيقة المذكورة هي عبارة عن مذكرة سرية تحمل عنوان "مشروع سياسي عسكري جديد"، وكانت موجهة أولاً إلى الإخوان المسلمين لمناقشة المشروع وتبنيّه تنظيمياً. وكان سعيد المزين وغالب الوزير هما صلة وصل أبو جهاد بالإخوان في القطاع الذي ذهب إليه أبو جهاد من مصر ومكث فيه طوال أشهر الصيف. ومن بنود المذكرة (على ما روى أبو جهاد وعبد الله أبو عزة) دعوة الإخوان إلى إقامة تنظيم وطني فلسطيني مستقل لا يحمل لوناً إسلامياً في مظهره وشعاراته، وإنما شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح وتوحيد جميع الجهود على هذا الطريق.^{١١٩} ودعا أبو جهاد كل شباب فلسطين إلى الانضمام إلى هذا التنظيم الوطني الجديد على أساس الانتماء الفلسطيني الخالص وبمعزل عن آرائهم الإخوانية أو التزاماتهم الحزبية، كما دعاهم إلى الامتناع من الدعوة إلى أي عقيدة أو أيديولوجيا حزبية غير عقيدة تحرير فلسطين، وألا يقفوا مع أي حكومة عربية أو ضدها، وأن يحرصوا على استقلال حركتهم وعلى قرارهم الوطني الفلسطيني الحر. وكان واضحاً أن هذا الكلام موجه أيضاً إلى أبناء البعث وحركة القوميين العرب تحديداً، وليس فقط إلى الإخوان (مع أنهم الفريق الأساسي المستهدف هنا)، وأن ما

الخطة ستؤدي إلى التحرير، وقالوا إن المشروع سيواجه بعدد من العقبات الكأداء التي لا يمكن تجاوزها مثل معارضة الحكومات العربية، وعدم جواز المقارنة بالجزائر. لكن الحجة الأبرز عند الإخوان كانت أن هدف التحرير لا يمكن أن يتم إلا من خلال الأمة الإسلامية كلها، وليس الشعب الفلسطيني وحده، والحل البديل الذي يطرحونه هو استمرار الاستعداد الإسلامي "لأن انتصار حركة الإخوان هو الذي سيحرر فلسطين".^{١٢٣}

ردوا فيها على بيانات حركة "فتح" وتوجهاتها، ودافعوا عن موقفهم عدم القيام بأي عمل مسلح مبررين ذلك بأنهم إنما يعترضون على الخطة والأسلوب لا على هدف التحرير، ورأوا فيما تقوله "فتح" "تخيلات غير واقعية لن توصل إلى هدف التحرير، وفتحاً لمعركة من غير أن تكون القوى الأساسية مستعدة لها".^{١٢٤} وقالت المذكرة إن الإخوان على استعداد لتجميد نشاطهم الإسلامي، والعمل لتحرير فلسطين، بشرط اقتناعهم "بدرجة يقينية"،^{١٢٥} بأن

IX

التربية الإخواني السوري الحلبي عبد الرحمن عطية. "وحين ظهرت 'فتح' كانت معظم المناصب الرئيسية في دائرة التربية بأيدي الإخوان".^{١٢٤}

وبمناسبة ذكر الشيخ عبد البديع صقر، فقد ذكر الشيخ يوسف القرضاوي في مذكراته، في موقعه الإلكتروني الخاص، أنه عرفه في معتقل الطور في سنة ١٩٤٩، إذ إنه كان من دعاة الإخوان المعروفين في مصر، وكان على صلة طيبة بالإمام حسن البنا، وعمل فترة في مركز الإخوان العام. "وكان الوجهه قاسم درويش في عهد الشيخ علي بن عبد الله (الحاكم السابق لقطر) هو المسؤول عن المعارف قبل الشيخ قاسم بن حمد، وكان له صلة بالعلامة السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلتي 'الفتح' و'الزهراء'. فأرسل إليه يطلب منه ترشيح شخصية إسلامية قوية تتولى إدارة المعارف، فرشّح له في أول الأمر الكاتب الإسلامي الصاعد محمد فتحي عثمان، ولكن ظروفًا خاصة حالت دون استجابة الأستاذ فتحي، فطلب من الإخوان أن يرشّحوا له شخصاً للقيام بالمهمة المطلوبة فرشّحوا له الأستاذ عبد البديع. وسافر الشيخ عبد البديع

أزمة تنظيم قطر الإخواني

لا يمكن فهم تأثير نشوء حركة "فتح" على الإخوان المسلمين إذا ما اقتصر حديثنا على التأثير في غزة وحدها على الرغم من أهميته المحورية، لا بل الحاسمة في تاريخ حركة "فتح"، لأن الإخوان المسلمين غير الفلسطينيين في البلاد العربية، وضمن إطار ما كان يُعرف باسم المكتب التنفيذي (١٩٦٥ - ١٩٦٩)، وقفوا إلى جانب "فتح" وضد قيادة إخوان غزة. وقد عرفت قطر معركة حادة بين التنظيمين، وذلك بسبب وضع قطر الخاص بالنسبة إلى الطرفين.

ويعود منشأ الوضع الخاص إلى فرار كثيرين من كوادر الإخوان من مصر وغزة إلى قطر بعد سنة ١٩٥٤، واستلامهم مواقع مهمة في التعليم، نظراً إلى حاجة قطر في تلك الأيام إلى الخبرات التي كانت متوفرة عند المصريين والفلسطينيين. وقد أصبح المصري عبد البديع صقر مديراً للمعارف في الدوحة، ثم حل محله البعثي السوري المنشق عبد الله عبد الدايم. لكن نفوذ الإخوان ظل كبيراً في وزارات ودوائر التربية والتعليم، وخصوصاً في أيام مدير

قياديينها وكثيرين من أفرادها كانوا من الإخوان. ولم يستطع الإخوان المصريون أن يستوعبوا المبررات التي أملت على التنظيم الفلسطيني موقفه منها.^{١٢٧} ويبدو أن "صراعاً حاداً نشب في نطاق الإخوان العاملين في التربية من أجل السيطرة والاستئثار بمناصب القوى فطارت من وقع صدام المعركة بعض العناصر الإخوانية البارزة، بينما اختارت عناصر أخرى الاستقالة والهرب من البلاد.^{١٢٨} ومن الكيفية التي ذكر فيها أبو عزة موضوع هذا الصراع يبدو أن الإخوان الفلسطينيين الفتحاويين أدوا دوراً فيه، وتطرفوا في العداء للإخوان غير الفتحاويين في مقابل تطرف الإخوان الغزيين في عدائهم لـ "فتح" في قطر. كما يبدو أن كثيرين من الإخوان المصريين والعرب وقفوا مع "فتح" ضد إخوان غزة. وانتهت المعركة بقرار فصل أبو يوسف النجار الذي اتخذته الاجتماع العام لأول مجلس شورى للإخوان في قطاع غزة في صيف سنة ١٩٦١، إذ يظهر واضحاً أن النجار (ولعل غيره أيضاً) ظل عضواً في الإخوان، على الرغم من كونه قيادياً في "فتح"، حتى صيف سنة ١٩٦١. في تلك الفترة كانت "فتح" قد اكتمل نموها وصلب عودها، ولم يعد ينفع معها التوتير والصدام.

إلى قطر مبكراً سنة ١٩٥٤، وعُيّن مديراً للمعارف مع الشيخ قاسم بن درويش. "وقد انضم إلى عبد البديع بعد ذلك عدد من الإخوان الذين فروا من حملة عبد الناصر في مصر، فمنهم من ذهب إلى دمشق، ومنهم من ذهب إلى السودان، وغيرها. ومن هذه البلاد جاؤوا إلى قطر. كان ممن جاؤوا من دمشق: عز الدين إبراهيم^{١٢٩}، وحسن المعايروجي، ومحمد الشافعي، وعبد اللطيف مكي. وممن جاؤوا من السودان: كمال ناجي، وعلي شحاتة، ومصطفى جبر.

وقد تعاهد الشيخ عبد البديع مع عدد من أبناء فلسطين، معظمهم من الإسلاميين الذين أصبح لهم شأن ومكان فيما بعد، ومنهم: رفيق شاكر النتشة الذي عمل مديراً لمكتب وزير المعارف الشيخ قاسم بن حمد، وكان له سطوته ونفوذه، ومحمد يوسف النجار الذي عمل أيضاً في مكتب الوزير، وكان له أثره في حركة "فتح" وتأسيسها فيما بعد، وأحمد رجب عبد المجيد، وغيرهم وغيرهم.^{١٣٠}

وعند قيام "فتح" كان الإخوان المصريون يعتبرونها حركة إخوانية استناداً إلى مشاركة ياسر عرفات لهم في حرب العصابات التي شنوها ضد القوات البريطانية في منطقة قناة السويس سنة ١٩٥١، وإلى أن معظم

X

التعاون الإخواني الفتحاوي ١٩٦٥-١٩٧٠

١٩٧٠

وباستثناء عبد الله أبو عزة، لم يتطرق أي إخواني فلسطيني أو فتحاوي إلى تلك العلاقات الملتبسة بين الطرفين، كأنها كانت هي الإثم الكنعاني!! لكننا نعرف، من مصادر متعددة، أن الإخوان في مصر والكويت (وبعض قادة إخوان الأردن من الفلسطينيين) كانوا يتعاملون مع حركة "فتح" ويتعاملون معها باعتبارها إخوانية، بينما كانت علاقة إخوان

من الغريب ألا يذكر أي قيادي فتحاوي أي معلومات عن مرحلة انتمائه الإخواني الأولي، ولا عن مرحلة التعاون مع الإخوان بعد الانطلاقة. ويفعل الإخوان الشيء نفسه إذ يتجاهلون هذا التاريخ كأنه لم يكن،

غزة بـ "فتح" يسودها التوتر والصراع الحاد. ومن أبرز الأسماء الإخوانية التي تعاونت مع "فتح" نذكر: عبد الله العلي المطوع من الكويت؛ عز الدين إبراهيم وتوفيق الشاوي من مصر؛^{١٢٩} عصام العطار وعمر بهاء الدين الأميري من سورية؛ الشهيد محمد خيضر من الجزائر.^{١٣٠} ويبدو أنه كان للإخوان دور في بناء الصلة بين ثورة الجزائر وحركة "فتح"، وكان محمد خيضر هو أول من بنى هذه الصلة حين كان في مصر، فقد كان صديقاً لجمال عرفات (شقيق أبو عمار) الذي كان من الإخوان هو أيضاً وعضواً في جمعية دينية مصرية يرئسها الشيخ عبد اللطيف دراز صهر الشيخ الباقوري. وقد التقى محمد خيضر يرافقه توفيق الشاوي وفداً من قيادة حركة "فتح" في الكويت في نهاية سنة ١٩٦٢،^{١٣١} وكان أبو جهاد حاضراً في هذا اللقاء يرافقه كمال عدوان وخالد الحسن وعلي الحسن.^{١٣٢} ومنذ تلك اللحظة تقرر أن يتولى أبو جهاد العلاقة بالجزائر من خلال محمد خيضر الذي صار من أشد المقربين إلى حركة "فتح"، ومن هنا مصدر الشائعات التي سرت بعد اغتيال خيضر بشأن صندوق أموال جبهة التحرير الذي كان في حيازته في المنفى، والذي كان يرفض تسليمه إلى الحكومة الجزائرية، وقيل يومها إنه أعطاه إلى حركة "فتح". حتى إن توفيق الشاوي يعتقد أن هذا الأمر كان سبب اغتيال خيضر.^{١٣٣}

في خريف سنة ١٩٦٥ قام الإخوان بإعادة إحياء المكتب التنفيذي، وذلك مع تصاعد الحملة المصرية عليهم وإعادة اعتقال سيد قطب (أعدم في آب / أغسطس ١٩٦٦). وهكذا عُقد أول اجتماع للمكتب التنفيذي للإخوان في بيروت، وضم مندوبين عن معظم فروع الإخوان في العالم العربي (لم يحضره فرع غزة). وبحث هذا الاجتماع في موضوع التعاون مع حركة "فتح"، الأمر

الذي أثار ثائرة إخوان غزة وقسم من إخوان الأردن الفلسطينيين الذين كانوا يتندرون في مجالسهم على انطلاقة "فتح" والكفاح المسلح (وصل بهم الأمر إلى حد القول إن قادة "فتح" يستأجرون بعض المهربين ليطلقوا بضع طلقات على الحدود ويصدرون بها بيانات عسكرية).^{١٣٤} وبسبب موقف إخوان غزة المعارض بحدّة للتعاون مع "فتح" طوي الموضوع حتى كانت نكسة حزيران / يونيو ١٩٦٧، إلا إن طي الموضوع في المكتب التنفيذي لم يمنع قادة الإخوان الرئيسيين فيه، وخصوصاً توفيق الشاوي وعز الدين إبراهيم وعصام العطار، من استمرار اللقاء والتعاون مع قيادة "فتح". ويروي عبد الله أبو عزة أنه كان أحياناً يصادف خليل الوزير خارجاً من منزل عصام العطار في رأس بيروت،^{١٣٥} كما يروي عز الدين إبراهيم وتوفيق الشاوي أنهما استمرا في الاتصال بقيادة "فتح" والتنسيق معها والدعاية لها، ولا سيما في دول الخليج العربي وبين قيادات المغرب العربي.^{١٣٦}

أدت نكسة حزيران / يونيو وتصاعد العمل الفدائي بقيادة "فتح" إلى اهتمام إخواني ملحوظ، بحيث إن موضوع العمل الفدائي صار الشغل الشاغل لاجتماعات المكتب التنفيذي للإخوان في البلاد العربية ولمؤتمر قادة الإخوان في تلك البلاد.^{١٣٧} ودارت نقاشات حادة في هذه اللقاءات بشأن ضرورة قيام وجود عسكري للإخوان وإقامة معسكرات تدريب في الأردن ومباشرة العمل الفدائي، وحمل لواء هذه الدعوة إخوان مصر والسودان والكويت والأردن، في حين عارضها بشدة إخوان غزة،^{١٣٨} بينما وقف إخوان لبنان وسورية والعراق موقفاً متردداً. وقام إخوان الأردن، بمعاونة إخوان مصر والسودان والكويت، وبمشاركة رمزية من إخوان العراق وسورية ولبنان، بإنشاء معسكر تدريب تحت

المقاومة الفلسطينية وفقدانها قواعدها في الأردن. وقد قررت قيادة الإخوان في الأردن وفلسطين النأي بالنفس عن تلك الحرب بين الإخوة،^{١٤٢} لا بل إن إسحق الفرحان زعيم تيار الصقور الداعي إلى المقاومة المسلحة والارتباط بـ "فتح" وقائد معسكر الشيوخ، وافق على المشاركة في الحكومة التي شكلها الملك الأردني في إبان أحداث أيلول / سبتمبر تلك.^{١٤٣} ومع هذه المشاركة انتهت تجربة قاعدة الإخوان الفتحاوية التي قدم الإخوان فيها عدداً من الشهداء (معلومات الإخوان تقول إنهم ١٣ شهيداً) نذكر منهم: صلاح حسن من مصر؛ محمد سعيد باعباد من اليمن؛ مهدي الإدلبي ونصر عيسى وزهير قشيشو من حماه؛ رضوان بلعة من دمشق؛ رضوان كريشان من معان الأردن؛ محمود البرقاوي وأبو الحسن إبراهيم الغزي من فلسطين.^{١٤٤} وهكذا انتقلت العلاقة بين "فتح" والإخوان إلى الحيز السياسي من جديد من خلال التنسيق مع المكتب التنفيذي بالتحديد، واستمر دعم إخوان العالم العربي لـ "فتح"، بينما استمر عداؤهم إخوان غزة لها.

حماية حركة "فتح" في الأردن، بل إنه حمل اسم "فتح" بصراحة. وتلا ذلك تصاعد الخلاف مع إخوان غزة، الأمر الذي أدى إلى اجتماع استثنائي للمكتب التنفيذي (أوائل خريف سنة ١٩٦٧، وكانت "فتح" أعلنت الانطلاقة الثانية في آب / أغسطس ١٩٦٧) وقف فيه المندوب الفلسطيني وحيداً في وجه بقية المندوبين الذين شددوا على دعم القاعدة العسكرية والتعاون مع "فتح". وقاد موقف إخوان الأردن إسحق الفرحان الذي صار قائداً للمعسكر الذي أقيم في غور الأردن (وحمل اسم معسكر الشيوخ). وبعد انتهاء التدريبات كان للإخوان ٣ سرايا مقاتلة موزعة على أربعة قواعد تحت مسمى قواعد الشيوخ، وكان عبد الله عزام أميراً لقاعدة منها.^{١٤٥} وساهمت قواعد الشيوخ بعدة عمليات عسكرية أشهرها عملية الحزام الأخضر التي قادها عبد الله عزام وإلى جانبه أبو مصعب السوري الذي أصيب بإصابات بالغة.^{١٤٦} ويبدو أن مروان حديد كان أيضاً ضمن المجموعة نفسها.^{١٤٧} وبعد عامين على قيام المعسكر وقعت أحداث أيلول / سبتمبر التي أدت إلى هزيمة

XI

خاتمة: محاولة تقويم

وكان شعارها أن فلسطين هي طريق الوحدة العربية، بينما كان الشعار السائد في ذلك الوقت أن الوحدة هي السبيل لتحرير فلسطين.^{١٤٨} وجاء انفصال الوحدة بين مصر وسورية (٢٨ أيلول / سبتمبر ١٩٦١)، ثم انتصار الثورة الجزائرية (٥ تموز / يوليو ١٩٦٢)، كي يصبوا في مصلحة الموقف الفتحاوي "الفلسطيني" القائم على الاعتماد على الذات أولاً، وعلى تجميع وحشد جميع الطاقات في سبيل التحرير ثانياً. ومن هنا جاءت المادة ٢ من مبادئ النظام الأساسي

هدفت حركة "فتح" في انطلاقتها التنظيمية إلى "تحريك الوجود الفلسطيني وبعث الشخصية الفلسطينية محلياً ودولياً من خلال المقاتل الفلسطيني الصلب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الإسرائيلية."^{١٤٩} وهي كانت ضد الحزبية بمفهوم التعصب الحزبي على حساب الولاء لفلسطين، بل إنها جعلت الولاء لفلسطين فوق جميع الخلافات العربية، وفوق الصراعات الحزبية كلها،

لحركة "فتح" وفحواها أن "الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الطبيعي والشرعي في فلسطين وهو ذو شخصية مستقلة ويملك وحده حق تقرير مصيره واستلام زمام قضيته دون وصاية أو تبعية أو توجيه، وله السيادة المطلقة على جميع أراضيه". وجاء في المادة ١٠ أن "حركة فتح حركة وطنية ثورية مستقلة وهي تمثل الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني". وفي المادتين ٢٦ و ٢٧: "عدم الزج بالقضية الفلسطينية في الخلافات العربية والدولية واعتبار القضية فوق أي خلاف [...] حركة فتح لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربية ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها." كما أن "فتح" أطلقت في البلاد العربية شعار الحرب الشعبية الطويلة الأمد على اعتبار أن السلاح ليس هو العامل الحاسم، وإنما هو السياسة التي توجه السلاح والفكر الذي يقود الثورة.

لقد شكلت انطلاقة "فتح" على أسس مغايرة تماماً لأسس الإخوان والتيار الديني، كما القومي والشيوعي في أواسط القرن العشرين، حالة جديدة من نوعها في الوسط السياسي والحزبي العربي، ذلك بأن "فتح" امتلكت تلك القدرة الغربية على تغليب الموقف الوطني على أي اعتبار أيديولوجي أو ديني أو مذهبي أو عشائري، وعلى توحيد جميع طاقات الشعب الفلسطيني، صوب الهدف المركزي، أي تحرير فلسطين. وأسست "فتح" حركة وطنية فلسطينية تحررية تميزت بنوعية من القيادة والكوادر كرسوا حياتهم من أجل الثورة والشعب إلى حدود التفاني ونكران الذات وعدم الاهتمام بالمصالح الشخصية والمكاسب الذاتية، وتميزوا بالجرأة على النضال ضد الأخطاء والنواقص وضد الذات قبل الآخرين، وبإنماء روحية تقويم العمل والتجارب والتشجيع على روح النقد بأخوية (قانون المحبة الفتاوي) ونزاهة

وحرية. ولم يكن قرار البدء بالعمل المسلح تحت اسم قوات العاصفة قراراً سهلاً في ظل أوضاع عربية ودولية معادية، ويبدو أن ما عجل في اتخاذ القرار ليس مشروع تحويل نهر الأردن كما قيل ويقال، بل لعل المشروع الإسرائيلي كان حافزاً على عقد القمة العربية وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية. أما من جانب "فتح" فإن العلاقة مع الصين وفيتنام من جهة، ومع الجزائر الحديثة الاستقلال من جهة أخرى، سمحت ليس فقط بإنشاء مكاتب والبدء بالتدريب والحشد والتسليح، بل كان لها دور كبير في تبلور الخيار الوطني الحركي التحرري المستقل الذي شكل قطيعة كاملة مع حركة الإخوان المسلمين. وجاء التورط المصري في اليمن والصراع المصري. السعودي من جهة، ودخول سورية حقبة حكم البعث وانقلاباته ومزايده من جهة أخرى، كي يطرحا على "فتح" ضرورة المبادرة والتحرك لإطلاق المارد الفلسطيني من قمقمه. وقد قوبلت حركة "فتح" بحملات تشكيك واتهام من جانب الأنظمة العربية (وخصوصاً سورية)، ومن الأحزاب القائمة (الشيوعيون والقوميون العرب والبعثيون الذين رأوا في "فتح" منافساً وغريماً قد يكتسح قواعدهم الفلسطينية وهي أهم وأشرس قواعد حزبية عربية). أما بالنسبة إلى القوميين السوريين الذين انتهوا في سورية منذ اغتيال عدنان المالكي، وكانوا يقبعون في السجون اللبنانية بعد محاولة الانقلاب الفاشلة على الرئيس فؤاد شهاب، فإن "فتح" كانت نافذة أمل لتجديد شبابهم. هذا في حين لم يغفر "الإخوان المسلمون" لقيادة "فتح" خروجهم عليهم في غزة، ولا مبادرتهم إلى حمل راية فلسطين التي كان من المفترض أن يحملها الإخوان.

لقد وجهت "فتح" منذ البداية حملات

إلى الأرض المحتلة وإعادة تأسيس الكفاح المسلح، كما أن كوادر وقادة "فتح" في الأردن طرحوا الموقف نفسه (بقيادة أبو ماهر عبد الفتاح غنيم). وهكذا سارع أبو عمار إلى الانتقال إلى الضفة الغربية (منطقة القدس ثم الخليل) كي يعيد تنظيم الشباب وربطهم بالقيادة وتأمين لوجستيات العمل المسلح. وبعد عودته عُقد مؤتمّر "فتح" التاريخي في منزل خليل الوزير في دمشق في أوائل تموز/ يوليو، وكانت مصر قررت بدء القتال على امتداد قناة السويس، فرأى قادة "فتح" أن الفرصة سانحة للدعوة إلى بقاء الناس في أرضهم، وإلى الإعداد للمقاومة الفلسطينية المسلحة. وبعد زيارات متكررة قام بها عرفات إلى داخل الأرض المحتلة، وإلى الأردن وسورية ولبنان، قررت القيادة "رفع وتيرة التدريب والتسليح وإرسال موجات الثقة والأمل إلى الداخل والبدء بإنشاء قواعد ارتكاز أمنية في الأرض المحتلة والانتقال لاحقاً إلى حرب تحرير شعبية.^{١٤٩}

وفي مطلع آب / أغسطس عاد عرفات إلى الضفة على رأس ٣٠ مقاتلاً، وأنشأ مركز قيادته في نابلس ليعلن الانطلاقة الثانية للكفاح الفلسطيني المسلح في ٢٨ آب / أغسطس ١٩٦٧. ومنذ سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٨٧ كانت حركة "فتح" تبلور الخط الوطني التحرري للصراع مع العدو الصهيوني، ولتحقيق الاستقلال الفلسطيني المنشود.

ولم يستطع الإخوان العودة إلى طريق فلسطين قبل أواخر سنة ١٩٨٧ وتشكيل حركة "حماس"، بعد أن كان تنظيم الجهاد الإسلامي (الشهيد فتحي الشقاقي) سبقهم في إطلاق المقاومة الإسلامية في سنة ١٩٨٠.

وفي الواقع، فإن ما أردنا قوله في هذه المقالة هو أن العلاقة بين حركتي "فتح" و"حماس" تحمل إرثاً تاريخياً - نفسياً لم

مطاردة واعتقال واغتيال ما بين الأردن وسورية، حتى لبنان (الشهيد جلال كعوش). كما شهدت الساحة الفلسطينية إغراقاً بالتنظيمات التي تُصدر البلاغات العسكرية عن عمليات وهمية، وذلك بقصد سرقة الوهج والمبادرة من "فتح". وابتدأت حركة القوميين العرب تلملم كوادرها وقواعدها (ما بين فلسطين والأردن والمخيمات) الذين كانت المطاردات قد أنهكتهم وشردتهم، وكذلك المناظرات والانشقاقات. لكن حركة "فتح" رفعت يومها شعار "اللقاء فوق أرض المعركة"، لا بل إنها دخلت في عمليات اندماج مع جبهة التحرير الفلسطينية ومع حزب البعث السوري، لتخرج منها، بعد محاولات انقلاب عليها وتصفية لقيادتها، أكثر تصميمياً على حفظ استقلالية القرار الوطني الفلسطيني والمبادرة الثورية الكفاحية. وانتهى الفصل الأول من هذه المرحلة بنكسة الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧. وكانت حركة "فتح" أسرع القوى في تجميع صفوفها لأنها لم تكن أسيرة الارتباط بالأنظمة المهزومة في الحرب أو بالمعادلات الدولية والإقليمية القائمة، ولذا فإنها كانت الوحيدة التي لم تصبها النكسة بارتباك أو انهيار (كما حدث للقوميين العرب والبعثيين والشيعيين)، لا بل إنها رأت في النكسة فرصة ممتازة للعمل الفلسطيني المستقل، وقد "اختفت قدرة القمع العربية ونشأ واقع جديد وعادت القضية إلى صورتها الحقيقية: صراع فلسطيني - إسرائيلي.^{١٤٨} كما أن كوادر "فتح" الموجودين في سورية كانوا قد شاركوا في القتال في الجولان، بقيادة عرفات والوزير، وانضم إليهم عشرات ومئات قدموا من دول الخليج بقيادة صلاح خلف ومحمود عباس. وفي دمشق عقدت قيادة "فتح" اجتماعها التاريخي في ١٢ و١٣ حزيران / يونيو، والذي طرح فيه أبو عمار وأبو جهاد "الانتقال

المركزي الفوقي على غرار الأحزاب الشيوعية والبعث والإخوان، وإنما تقدمت من خلال الاجتهادات المتعددة، والمتضاربة أحياناً في الأيديولوجيا والسياسة والممارسة، ومن خلال التنوع المشهود من جهة الأصول التي جاءت منها قياداتها وكوادرها وقواعدها. فهي كانت تعكس في داخلها الوضع العربي كله، الرسمي والشعبي، والوضع الفلسطيني بمختلف تياراته، وهي كانت حالة مركبة معقدة. كما أن قيادتها اتسمت بروح عجيبة في احتمال النقد والتجريح والتهمات التي كانت تصل إلى حدود من القسوة والعداية لا يمكن احتمالها. وكان هناك دائماً فيها وحدة على مستوى القيادة الأساسية، ولا سيما في مواجهة التحديات الكبرى، وكان هناك قدرة على عودة المياه إلى مجاريها كأن شيئاً لم يكن، ومن دون أن يمنع ذلك، أو يلغي، العودة المستمرة إلى تفجر الخلافات والتناقضات والاتهامات. وهذا الأمر هو الذي دفع بكثيرين إلى اعتبار أن ما يحدث هو من قبيل توزيع الأدوار، بينما هو في الواقع تعبير عن تلك التركيبة الداخلية الفتاوية بدءاً بمستوى القيادة، والتي لا تقوم على أساس المركزية والطوطمية الحزبية، وإنما تسمح بتعدد وجهات النظر، وبنزولها إلى الكوادر والقواعد وخروجها إلى العلن وتشجيع المبادرات على اختلافها. إن الذي سمح بمثل هذا النمط من العلاقات الداخلية هو طبيعة العلاقة بين أفراد القيادة أولاً، ثم منهج قيادة "فتح" في احتواء جميع التناقضات والاتجاهات في داخلها، ومنهجها في مراعاة الضغوط والمحاور العربية والدولية، الأمر الذي كان يفترض التسامح إلى حد ما مع الاختراقات، لكن ضمن حدود.

إن ما ميّز "فتح" بالنسبة إلى جيلنا العربي أمر أساسي هو الخط السياسي الصحيح والمتناسك، والتحليل الصحيح

يستطع الجيل الأول من مؤسسي "حماس" التخلّص منه، كما أنها تحمل إرثاً سياسياً - نظرياً صار من الضروري اليوم العودة إلى إطلاقه والحوار بشأنه.

إن "فتح"، وعلى الرغم مما كان يعترها من نواقص من الناحية التنظيمية الداخلية أو من الناحية المسلكية بالنسبة إلى البعض، أو من ناحية العقلية والتركيبة العشائرية، كانت أفضل إنجاز ثوري تحرري عربي، وأفضل إنجاز وطني استقلالي فلسطيني، في القرن العشرين. وهي لم تكن قادرة على تحقيق ما حققته للشعب الفلسطيني لولا تمتعها بشيء مميز يشكل قطيعة تاريخية مع تراث الإخوان وأحزاب البعث والشيوعي من الأساس. فهي صنعت انطلاقاً الثورة الفلسطينية المعاصرة، وهي التي أعادت المبادرة إلى الكفاح المسلح والمقاومة بعد نكسة حزيران / يونيو ١٩٦٧، وهي التي أخذت قرار الصمود والمواجهة في الكرامة في سنة ١٩٦٨، وهي التي حمت استمرارية البنادق وخط الكفاح المسلح ووقفت في مقدمة الصدمات ضد العدو الصهيوني، وهي التي جمعت في صفوفها الحشد الأكبر من الكفاءات والقدرات الثورية والإنسانية، وهي التي قدمت أكبر التضحيات في الأرض المحتلة كما على خطوط التماس في الأردن ولبنان. والشيء المميز في "فتح"، وسر نجاحاتها، هما تلك التعددية التي لم يسبق أن عرفت أي تجربة ثورية عالمية مثيلاً لها. ونحن نتكلم عن أواسط القرن العشرين، أي قبل نصف قرن على بروز موضوعات التعددية والرأي الآخر في الفكر السياسي العالمي. لقد كانت "فتح" تتقدم في قيادتها للشعب الفلسطيني وفقاً لقانون المحصلة: أي خروج محصلة عامة من خلال تصارع عدة آراء واتجاهات في داخلها ومن خارجها. فهي لم تعمل ضمن خط الانتظام الصارم

هذه الأفكار والمنهجيات هي ما نحتاج اليوم إلى الحوار بشأنه، وإلى استعادته وتطويره، وذلك من أجل نهضة جديدة للشعب الفلسطيني وثورته وحركته الوطنية التحررية. ■

للموضع العام ولميزان القوى مع خط فكري صحيح وموقف مبدئي يحمل أكبر درجة من الثبات. فالمبادئ ليست شيئاً مؤجلاً، كما أن الاستراتيجية ليست مسألة بعيدة قائمة بذاتها لا علاقة لها بالتكتيك اليومي.

المصادر

- ١ انظر بصورة خاصة: "فلسطين حتى النكبة: بروز دور الإخوان المسلمين"، وهي مقالة منشورة من دون توقيع اسم الكاتب، في مجلة "الإسلام وفلسطين"، العدد الثاني، السنة الثانية (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩)، ص ٩. وكانت المجلة تصدر من قبرص وتحمل فكر وتوجهات حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. وكان أمينها العام فتحي الشقاقي هو كاتب المقالة المذكورة (بحسب معرفتي من خلال مشاركتي معه في إصدار المجلة).
- ٢ وقد تحققت من مجلة "الفتح" فوجدت أن الشهيد البنّا نشر فيها أولى مقالاته في العدد ١٠٠ الصادر في ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٦ هـ / ١٤ حزيران / يونيو ١٩٢٨ م، وكانت بعنوان: "الدعوة إلى الله"، ثم كانت مقالته الثانية في صدر الصفحة الأولى من العدد ١٠٣ بعنوان: "الدعوة إلى الله.. على من تجب؟" ثم استكمل الموضوع في مقالته الثالثة المنشورة في العدد ١١١ في ١٥ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ / ٣٠ آب / أغسطس ١٩٢٨ م بعنوان: "الدعوة إلى الله: سبيل الدعوة". وبالتالي، فلا صحة لما أورده الشهيد فتحي الشقاقي إلا أن تكون مقالة البنّا عن فلسطين قد نُشرت باسم آخر.
- ٣ أنور الجندي، "حسن البنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد: ١٩٠٦-١٩٤٩"، ضمن سلسلة أعلام الدعاة المعاصرين (١)، (بيروت، دار القلم، ط ١، ١٩٧٨)، ص ٣٤٦. وأورد الجندي كلمة الحسيني في رثاء البنّا كاملة. ولعل رسالة البنّا إلى المفتي كانت هي المقالة المقصودة في دراسة الشقاقي، وقد ذكرت جريدة "الإخوان" (اليومية) في سنة ١٩٤٨ هذه الرسالة. انظر: جريدة "الإخوان"، العدد ٧١٩، السنة الثالثة، ١٩٤٨/٩/٥، ص ١٠-١١.
- ٤ انظر: "الإخوان المسلمون وقضية فلسطين: ملحمة تاريخية"، موقع الإخوان المسلمين الإلكتروني. وهذه المقالة هي المرجع الوحيد لكل ما كتبه الإخوان عن تلك المرحلة (١٩٢٨-١٩٤٨). وصدرت المقالة مؤخراً (٢٠٠٤) في كراس صغير عن مركز الإعلام العربي، (د.م.، سلسلة فلسطين، مواقف وآراء، ١). المصدر نفسه.
- ٥ حسن البنّا، "مذكرات الدعوة والداعية" (القاهرة: دار الشهاب، د.ت.)، ص ١٣٥.
- ٦ هو يقصد الإشارة إلى الشهداء الثلاثة محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير الذين أعدمهم البريطانيون في سجن عكا يوم الثلاثاء الموافق فيه ١٧ حزيران / يونيو ١٩٣٠، في أعقاب ثورة البراق، في سنة ١٩٢٩، والتي شملت عدداً كبيراً من المدن والقرى الفلسطينية، وفي مقدمتها القدس ويافا وحيفا وصفد. وأصدرت سلطات الاستعمار البريطانية أحكام الإعدام بحق ٢٦ مناضلاً فلسطينياً شاركوا في الثورة، ثم استُبدلت بالسجن المؤبد لـ ٢٣ منهم، ونُفذ حكم الإعدام بالأبطال الثلاثة فيما يُعرف بيوم "الثلاثاء الأسود".

- ٧ البنّا، "مذكرات الدعوة..."، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١.
- ٨ يُلاحظ بصورة خاصة دور مجلتي "الإخوان المسلمين" و"الفتح" في تلك الفترة ١٩٣٦ - ١٩٣٨.
- ٩ استمرت من سنة ١٩٣٦ حتى اندلاع الحرب في سنة ١٩٣٩، وحلت محلها بعد الحرب الهيئة العربية العليا، وذلك بقرار من مؤتمر الجامعة العربية الذي عُقد في بلودان في ١٢ حزيران / يونيو ١٩٤٦.
- ١٠ البنّا، "مذكرات الدعوة..."، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.
- ١١ المصدر نفسه.
- ١٢ مجلة "الإسلام وفلسطين"، العدد ٢ (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩)، ص ٩.
- ١٣ محمد عبد القادر أبو فارس، "شهداء فلسطين" (الأردن، إربد: دار الفرقان، ١٩٩٠)، ص ٣٢٣.
- ١٤ البنّا، "مذكرات الدعوة..."، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢. وهو يقصد المعاهدة المصرية - البريطانية التي أُعلنت في ٢٦ آب / أغسطس ١٩٣٦.
- ١٥ ريتشارد ميتشل، "الإخوان المسلمون"، ترجمة عبد السلام رضوان، دفاثر التاريخ العربي (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٧)، ص ٦٨ - ٦٩.
- ١٦ كامل إسماعيل الشريف ومصطفى السباعي، "الإخوان المسلمون في حرب فلسطين" (القاهرة، ط ٢، ١٩٥١)، ص ٥١. ومن المفيد هنا التذكير بأن عز الدين القسّام استشهد في ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٥ في أحرار يعبد في جنين قبل اندلاع ثورة ١٩٣٦ بخمسة أشهر، وبالتالي، لم يكن ممكناً التنسيق بينه وبين الإخوان خلال الثورة!! وللأسف فإن أدبيات الإخوان كلها تتبنى الرواية نفسها من دون أي تدقيق أو توثيق علمي، وخصوصاً لجهة التواريخ. فحركة "حماس" تقول في ميثاقها، في المادة السابعة: "وحركة المقاومة الإسلامية حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسّام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام ١٩٣٦ [...]".
- ١٧ حاتم يوسف أبو زائدة، "جهاد الإخوان في فلسطين حتى عام ١٩٧٠"، دراسة منشورة في الموقع الإلكتروني لكثائب شهداء عز الدين القسّام، أيلول / سبتمبر ٢٠٠٩، ص ٢٣.
- ١٨ مع الإشارة إلى أن الإخوان حددوا مقاطعة اليهود الداعمين للصهيونية، وهناك ما يؤكد من خلال ما كانت تنشره مجلة "الفتح" عن حملة المقاطعة، أن الإخوان عملوا على تحييد اليهود المصريين المعادين للصهيونية. انظر أعداد مجلة "الفتح" خلال سنة ١٩٣٦، إذ توجد إعلانات من تجار يهود مصريين يدعمون ثورة شعب فلسطين. وكان صاحب جريدة "الفتح"، السلفي السوري الأصل محب الدين الخطيب، قد كتب مهاجماً أحد دعاة القومية المصرية الفرعونية ووصفه بأنه "مدسوس على اليهود وعلى المسلمين" (عنوان المقالة الصادرة في "الفتح"، السنة الخامسة، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ / ١٤ آب / أغسطس ١٩٣٠ م، ص ١٧٧ - ١٧٩).
- ١٩ محسن محمد صالح، "التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧ - ١٩٤٨"، (الكويت: دار الفلاح، ١٩٨٨)، مجلة "الإسلام وفلسطين"، العدد ٢ (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩).
- ٢٠ ذكرته مقالة "الإخوان المسلمون وقضية فلسطين: ملحمة تاريخية"، لكنني لم أستطع التحقق من هذا الزعم، وخصوصاً أن موقع "الإخوان" (صاحب المقالة) يجعل تاريخ التظاهرة ٢٩ تموز / يوليو، ووعدهم بلغفور كان في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر. غير أن حاتم أبو زائدة صحّح هذه المعلومات فذكر أن أول تظاهرة جرت في حزيران / يونيو ١٩٣٨ واصطدمت بالشرطة، وأن تظاهرة كبرى جرت في سنة ١٩٣٨ في ذكرى وعد بلغفور، وشملت أرجاء مصر كافة. انظر: أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

- ٢١ بشأن الأدوار الإخوانية من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩، راجع: مجلة "الإسلام وفلسطين"، العدد ٢ (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩)؛ الشريف والسباعي، مصدر سبق ذكره؛ موقع الإخوان المسلمين الإلكتروني، "الإخوان المسلمون وقضية فلسطين..."، مصدر سبق ذكره؛ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره. م.ن.
- ٢٢ البنّا، "مذكرات الدعوة..."، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- ٢٤ المصدر نفسه، ص ٢٤٢-٢٤٣.
- ٢٥ المصدر نفسه، ص ٢٦٧.
- ٢٦ توفيق محمد الشاوي، "مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي: ١٩٤٥ - ١٩٩٥" (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص ١٥. وكان الحاج أمين الحسيني هرب من ألمانيا إلى فرنسا حيث وضعته السلطات تحت الإقامة الجبرية بعد تحرير باريس وسقوط حكومة فيشي.
- ٢٧ البنّا، "مذكرات الدعوة..."، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢. وانظر أيضاً مقالته في جريدة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية، العدد ٦، السنة الرابعة، ١٩ أيار / مايو ١٩٣٦، ص ١٩-٢٠.
- ٢٨ أحاديث خاصة مع المرحوم توفيق الشاوي كنت أجريتها معه في القاهرة بصحبة الإمام محمد مهدي شمس الدين على فترات، وخصوصاً في ٢٥ و٢٦ و٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩. وكانت تربطنا به صداقة جميلة ومحاورات أجمل. والدكتور توفيق الشاوي مولود في سنة ١٩١٨ في قرية الغنيمية - دمياط، وهو من الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين ممن رافقوا الإمام حسن البنّا. توفي في ٨ نيسان / أبريل ٢٠٠٩.
- ٢٩ المصدر نفسه، اللقاء بتاريخ ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩؛ فريد عبد الخالق، لقاء خاص، القاهرة، ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩. وكانت تربطنا بمحمد فريد عبد الخالق صداقة جميلة أيضاً ومحاورات أجمل في القاهرة خلال الفترة ١٩٩٥ - ٢٠٠٠، حيث كنا نتردد بصحبة الشيخ محمد مهدي شمس الدين وملتقيه مع الشيخ محمد الغزالي ومحمد سليم العوا وغيرهم من تيار الوسط الإسلامي يومذاك. وهو من الرعيل الأول مع حسن البنّا، وعضو الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين، وعضو مكتب الإرشاد السابق. ولد في مدينة فاقوس شرقية في مصر في ٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٥، وهو شاهد على عصر الحركة الإسلامية منذ الأربعينيات حتى يومنا هذا. له العديد من المؤلفات، فضلاً عن حلقاته الشهيرة على قناة "الجزيرة" في برنامج "شاهد على العصر". حصل على درجة دكتوراه من قسم الشريعة في كلية حقوق جامعة القاهرة في سنة ٢٠٠٩، وعن عمر يناهز ٩٤ عاماً، وهو أكبر باحث في السن يحصل على درجة دكتوراه في العالم، متفوقاً على صاحب اللقب السابق الذي كان عمره ٩١ عاماً.
- ٣٠ أحمد أبو رومية، "دور القوات العربية غير النظامية في حرب فلسطين ١٩٤٨" (القاهرة: قسم البحوث والدراسات السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، حزيران / يونيو ٢٠٠١)، ص ٨٣.
- ٣١ المصدر نفسه. وانظر أيضاً: "الإخوان المسلمون وقضية فلسطين..."، موقع الإخوان المسلمين الإلكتروني، مصدر سبق ذكره.
- ٣٢ "الإخوان المسلمون وقضية فلسطين..."، موقع الإخوان المسلمين الإلكتروني، مصدر سبق ذكره. وانظر أيضاً: مجلة "الإسلام وفلسطين"، العدد ٢ (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٩)؛ فريد عبد الخالق، أحد رفاق حسن البنّا، لقاء خاص، القاهرة، ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩.

- ٣٣ زكريا سليمان البيومي، "الإخوان المسلمون في الحياة السياسية المصرية: ١٩٢٨ - ١٩٤٨" (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٨)، ص ١١٦.
- ٣٤ فريد عبد الخالق، لقاء خاص، القاهرة، ٢٦ شباط / فبراير ١٩٩٩.
- ٣٥ اختصرت المعلومات من الصحف المصرية والإخوانية وقارنتها بمعلومات موقع الإخوان المسلمين الإلكتروني، وكذلك بمعلومات فريد عبد الخالق وتوفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة، ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩.
- ٣٦ فريد عبد الخالق وتوفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة، ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩.
- ٣٧ الشاوي، "مذكرات نصف قرن..."، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.
- ٣٨ توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة، ٢٥ و ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩.
- ٣٩ المصدر نفسه، ٢٥ شباط / فبراير ١٩٩٩.
- ٤٠ المصدر نفسه، ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩.
- ٤١ المصدر نفسه، ٢٧ شباط / فبراير ١٩٩٩، وقارن بـ: الشاوي، "مذكرات نصف قرن..."، مصدر سبق ذكره، ص ٥١ - ٦٢. والمهم في هذه المعلومات أن نرى كيف كان الإخوان في مصر وفلسطين يتعاملون مع أبناء وطنهم من المسيحيين ويسلمونهم مراكز كبرى في عملهم الوطني.
- ٤٢ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.
- ٤٣ المصدر نفسه، ص ٢٥.
- ٤٤ المصدر نفسه. ولمعلومات أكثر، انظر: الشريف والسباعي، مصدر سبق ذكره. وقد قارنتها بمعلومات فريد عبد الخالق وتوفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة.
- ٤٥ على أي حال، نذكر هنا أن فيلسوف القومية العربية ومنظرها الأول أبو خلدون (ساطع الحصري) لا يذكر فلسطين وقضيتها ولا مرة في مؤلفاته التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)، في أكثر من ١٦ مجلداً، كأنها لم تكن ذات أهمية في تبلور القومية العربية، وذلك على عكس ما قدمه لتلاميذه وحواربه كل من علي ناصر الدين وقسطنطين زريق ونقولا زيادة، في الجامعة الأميركية في بيروت في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته.
- ٤٦ وردت شهادة كمال الدين حسين في: سامي جوهر، "الصامتون يتكلمون" (القاهرة: المكتب المصري الحديث للنشر، ١٩٧٦)، ص ٩٧-٩٨. وانظر أيضاً مذكرات الضباط فيما يلي:
حسين حمودة، "أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون" (القاهرة: الزهراء للإعلام والنشر، ١٩٨٥)؛ عبد المنعم عبد الرؤوف، "أرغمت فاروق على التنازل عن العرش" (القاهرة: الزهراء للإعلام والنشر، ١٩٨٨).
- ٤٧ خالد محيي الدين، "والآن أتكلم"، الجزء الأول (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢).
- ٤٨ عبد اللطيف البغدادي، "مذكراتي" (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٠).
- ٤٩ أنور السادات، "صفحات مجهولة من كتاب الثورة" سلسلة كتب للجميع، العدد ٨٤، مطلع سنة ١٩٥٤.
- ٥٠ المصدر نفسه، ص ٣٣ - ٤٨، ٥٣ - ٥٦.
- ٥١ حمودة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.
- ٥٢ في كتابه "قَدْر مصر"، بالإنجليزية ١٩٥٥، ص ٣٢. وانظر أيضاً كتابه: "كنت رئيساً لمصر" (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٤).
- ٥٣ المصدر نفسه.

- ٥٤ حمودة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦.
- ٥٥ سعود المولى، "الجماعات الإسلامية والعنف" (دبي: دار مدارك، ٢٠١١).
- ٥٦ السادات، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.
- ٥٧ هذه الرواية يذكرها عبد الرؤوف، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣-٦٥؛ حمودة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥.
- ٥٨ حمودة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩-١٥١.
- ٥٩ رواية أوردتها جريدة "الجمهورية"، العدد ٢٣، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٤.
- ٦٠ المصدر نفسه، العدد ١٩، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٤.
- ٦١ نجيب، "قدر مصر"، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧ - ١٥٨.
- ٦٢ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦. وقارن بـ: صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٩. وانظر أيضاً: حسني أدهم جرار، "الشهيد عبد الله عزام: رجل دعوة ومدرسة جهاد" (الأردن، عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٩٠)، ص ٦٥.
- ٦٣ أحمد إسماعيل نوفل، "الطريق إلى فلسطين" (د. م. د. ت.)، ص ٢٥، وهو عبارة عن دراسة وُزعت في مساجد الأردن. وانظر أيضاً: بيان نويهض الحوت، "القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١)، ص ٥٠١ - ٥٠٦.
- ٦٤ صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤١.
- ٦٥ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.
- ٦٦ صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.
- ٦٧ خالد الحروب، "حماس: الفكر والممارسة والسياسة" (واشنطن: معهد الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٠)، ص ١١٢.
- ٦٨ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨، وقد استند إلى مقابلات مع عدد من إخوان فلسطين ومنهم الشيخ أبو غصيب.
- ٦٩ المصدر نفسه، ص ٢٨. وبشأن النبهاني وحزب التحرير وعلاقتها بالإخوان انظر: المولى، مصدر سبق ذكره.
- ٧٠ صالح، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٤-٤٤٥.
- ٧١ المصدر نفسه، ص ٤٤٣. ولم أجد أي مصدر أو مرجع إخواني أو غير إخواني يوثق هذه الزيارة العظيمة الأهمية والدلالة، وخصوصاً أنها، بحسب الرواية الإخوانية، حدثت قبل نحو شهرين فقط من اندلاع الحرب في فلسطين!! غير أننا نعثر في بعض المواقع الإلكترونية الإخوانية على صور نادرة للإمام البنّا تذكر المواقع أنها أخذت "على شاطئ غزة وفي منتزهها وفي مينائها"، وبعضها وسط مجموعة من المستقبلين لا تذكر منهم المواقع غير اسم الحاج ظافر الشوا!! وهناك صورة تقول عنها المواقع الإخوانية إنها للبنّا وسط شعبة إخوان غزة وتاريخها ١٩ آذار / مارس ١٩٤٨. والغريب أنه لا توجد وثائق بشأن هذه الزيارة التاريخية! لا بل إن جميع السير الذاتية الرسمية لحسن البنّا، والتي نشرها الإخوان، لا تذكر هذه الزيارة أبداً!!
- ٧٢ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ - ٦١؛ أبو رومية، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤ - ٩٨؛ الشريف والسباعي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠؛ عارف العارف، "نكبة فلسطين والفردوس المفقود" (لبنان، صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٦)، ص ٤٠٢.

- ٧٣ المصادر نفسها.
- ٧٤ بشأن دور المجاهدين من الإخوان الفلسطينيين في معارك ١٩٤٨، انظر بصورة خاصة: أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ - ١١٠.
- ٧٥ حسني أدهم جرار، "نكبة فلسطين" (الأردن، عمان: دار الفرقان، ١٩٩٥)، ص ٧٦ - ٩٨.
- ٧٦ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥.
- ٧٧ عبد الله أبو عزة، "مع الحركة الإسلامية في البلاد العربية" (الكويت: دار القلم، ط ١، ١٩٨٦)، ص ١٤ - ١٦.
- ٧٨ لم نستطع العثور على اسم هذا الاخواني، وقد تكتّم عليه مصدر المعلومة: المصدر نفسه، ص ١٧.
- ٧٩ المصدر نفسه، ص ١٨-١٩.
- ٨٠ أبو جهاد (خليل الوزير)، حديث خاص مع الكاتب. انظر أيضاً: أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.
- ٨١ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.
- ٨٢ معظم ما يرد على لسان الشهيد أبو جهاد يعود الى لقاءات خاصة كنت أجريتها معه خلال الفترة تموز/ يوليو - تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٤، بين تونس والأردن، في أثناء تحضير، ثم عقد الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني.
- ٨٣ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٢١، ٢٣.
- ٨٤ المصدر نفسه، ص ٤١.
- ٨٥ أبو جهاد، أحاديث خاصة مع الكاتب، مصدر سبق ذكره.
- ٨٦ المصدر نفسه.
- ٨٧ المصدر نفسه.
- ٨٨ المصدر نفسه.
- ٨٩ بشأن مشاريع التوطين في تلك الفترة ١٩٥٢ - ١٩٥٥، انظر: حسين أبو النمل، "قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧: تطورات إقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية" (بيروت: مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٩)، ص ٨٢ - ٨٨.
- ٩٠ المصدر نفسه، ص ٨٤ - ٨٥.
- ٩١ أبو جهاد، لقاءات خاصة مع الكاتب، مصدر سبق ذكره.
- ٩٢ تحدث عنها أبو جهاد كثيراً باعتبارها نقطة تحوّل في تاريخ علاقته هو بالإخوان في غزة ومصر، وهي سبقت التحول الكبير في العمل الفلسطيني الذي حدث، في رأي أبو جهاد، في سنة ١٩٥٥.
- ٩٣ "الموسوعة الفلسطينية" (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤)، ج ٣، ص ٣٩٧.
- ٩٤ المصدر نفسه، ص ٣٩٣ - ٣٩٦؛ أبو النمل، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١ - ١٢٣.
- ٩٥ وكذلك من خلال ما كتبه الشهيد كمال عدوان في مجلة "الثورة الفلسطينية" التي كانت تصدرها حركة "فتح" (وخصوصاً المقالة بمناسبة الذكرى الخامسة لانطلاقة "فتح"، العدد ٢٢، كانون الثاني / يناير ١٩٧٠)، وأيضاً حديثه مع طاهر عبد الحكيم بعنوان: "كمال عدوان: فتح الميلاد والمسيرة"، مجلة "شؤون فلسطينية"، العدد ١٧، كانون الثاني /يناير/ ١٩٧٣.
- ٩٦ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره؛ عدوان، مصدر سبق ذكره.
- ٩٧ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره.

- ٩٨ بشأن علاقة الضباط الأحرار بالإخوان راجع ما سبق.
- ٩٩ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره.
- ١٠٠ المصدر نفسه.
- ١٠١ المصدر نفسه. أما كمال عدوان فيرى أن عدوان ١٩٥٦ كان نقطة التحول في مسيرة الثورة والانتقال إلى المرحلة الثانية، فالشباب الفلسطيني، في رأي عدوان، تفاعل مع جميع الأحداث والتطورات العربية معتقداً أنها جزء من معركته في فلسطين، ثم اكتشف أن هذا الطريق "العربي" لم يحقق أغراضه فبدأت ترتسم علامات استفهام كبيرة تتساءل إلى أين؟ وهنا وقع العدوان الثلاثي وسقطت غزة، فبدأت المرحلة الثانية (انظر مقالة عدوان في مجلة "الثورة الفلسطينية"، مصدر سبق ذكره).
- ١٠٢ عدوان، مجلة "الثورة الفلسطينية"، مصدر سابق.
- ١٠٣ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره.
- ١٠٤ هذا هو تفسير أبو جهاد الذي سمعته منه مراراً.
- ١٠٥ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره.
- ١٠٦ محمود المغربي من لاجئي سورية، وهو ليبي الأصل، تولى في سنة ١٩٦٩ أول حكومة ليبية بعد قيام حركة الفاتح من أيلول التي أوصلت العقيد معمر القذافي إلى السلطة.
- ١٠٧ انظر: محمود عباس، "صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية"، حوار أجراه يحيى يخلف (رام الله: ٢٠٠٩).
- ١٠٨ "بعد ٤٧ سنة على الانطلاقة: أبو الأديب يتذكر"، مقابلة أجرتها نادية سعد الدين، مجلة "فلسطين"، "ملحق جريدة السفير"، كانون الثاني / يناير ٢٠١٢.
- ١٠٩ "أبو يوسف، حياته، مسؤولياته، ومعتقداته السياسية"، مقابلة أجرتها معه بيان نويهض الحوت، مجلة "شؤون فلسطينية"، العدد ٣٣، أيار / مايو ١٩٧٤، ص ١٧-١٨.
- ١١٠ عباس، مصدر سبق ذكره.
- ١١١ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.
- ١١٢ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره.
- ١١٣ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠-٦١.
- ١١٤ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره، وقرن بمعلومات أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٧١-٨٦.
- ١١٥ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.
- ١١٦ هذا ما قاله أبو عزة بالتحديد، انظر: أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.
- ١١٧ هذا ما سمعناه من أبو جهاد عن لقائه بعرفات في القاهرة في سنة ١٩٥٦، وعن بدء التخطيط لهذا العمل.
- ١١٨ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.
- ١١٩ كمال عدوان في حديث مع طاهر عبد الحكيم، مجلة "شؤون فلسطينية"، العدد ١٧، كانون الثاني / يناير ١٩٧٣، ص ٤٧.
- ١٢٠ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤.
- ١٢١ تتحفظ "حماس" وتنظيمات الإخوان عن إيراد نص هذه المذكرة، لكننا نستطيع إعادة تركيب النص من خلال ما عرضه عبد الله أبو عزة في نقاشه مع مذكرة "فتح"، وفي إشارات إلى ما تناقلته أوساط إخوان غزة ولقاء القاهرة. كما أن أبو عزة الذي يذكر صدور هذه المذكرة يورد ملخصاً لها على شكل مناقشة يعقدها مع أطروحات "فتح" التأسيسية. انظر: أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢ - ٨٦.

١٢٢ المصدر نفسه، ص ٨٢.

١٢٣ المصدر نفسه، ص ٨٦.

١٢٤ المصدر نفسه، ص ٨٩.

١٢٥ عز الدين إبراهيم (١٩٢٨ - ٢٠١٠)، مدير جامعة الإمارات الأسبق، والمستشار الثقافي للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وأحد قيادات الإخوان المسلمين ومؤسس تنظيمها في ليبيا بعد خروجه من مصر. توفي في لندن في المملكة المتحدة. تعلمنا منه كثيراً في عملنا المشترك في الحوار الإسلامي - المسيحي (١٩٩٥ - ٢٠١٠)، وكان لنا معه حوارات شيقة ومفيدة ما بين القاهرة وبيروت والدوحة وروما وباريس.

١٢٦ انظر: موقع القرضاوي الإلكتروني، الحلقة ٩٥، في الرابط التالي:

<http://qaradawi.net/component/content/article/5879.html>

١٢٧ أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠.

١٢٨ المصدر نفسه، ص ٩١.

١٢٩ كان عز الدين إبراهيم وتوفيق الشاوي من أبرز من شارك معنا في تشكيل الفريق العربي للحوار الإسلامي - المسيحي (١٩٩٥)، وكان لنا جلسات شيقة معهما في القاهرة وبيروت وغيرهما من العواصم العربية والغربية. ومن هذه الجلسات، كما من لقاءاتنا معهما بصحبة الإمام محمد مهدي شمس الدين والشيخ محمد الغزالي ومحمد سليم العوا خلال الفترة ١٩٩٥ - ٢٠٠٠، استفدتُ أموراً كثيرة، غير أنني للأسف لم أدرك قيمة علاقتهما بـ "فتح" والإخوان ودورهما الكبير خلال السنوات ١٩٦٥ - ١٩٦٩ إلا متأخراً، رحمهما الله.

١٣٠ ينحدر محمد خيضر من عائلة متواضعة في مدينة بسكرة الجزائرية حيث ولد في ١٣ آذار / مارس ١٩١٢، ودرس في مسقط رأسه قبل أن يضطر إلى مغادرة المدرسة لإعالة أهله الفقراء. انخرط في سنة ١٩٣٤ في صفوف حزب نجمة شمال إفريقيا، ثم في سنة ١٩٣٦ في حزب الشعب الجزائري، وانتُخب نائباً عن الجزائر العاصمة في سنة ١٩٤٦. اتهمته السلطات الاستعمارية بالتورط في حادثة السطو على بريد وهران في سنة ١٩٥٠، إذ استعملت سيارته لنقل النقود من وهران إلى الجزائر العاصمة. لجأ إلى القاهرة في سنة ١٩٥١، وأصبح مندوباً لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في القاهرة، وعضواً في جبهة تحرير المغرب العربي التي كان يرئسها عبد الكريم الخطابي. اعتُقل مع أحمد بن بللا ورفاقه في ٢٢ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٦ بعد اختطاف الطائرة التي كانت تقلهم من المغرب إلى تونس، ولم يُفرج عنه إلا في ١٩ آذار / مارس ١٩٦٢. عُيّن عضواً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وشرفياً في لجنة التنسيق والتنفيذ في سنة ١٩٥٧، ووزير دولة في الحكومة الموقته للجمهورية الجزائرية ١٩٥٨ - ١٩٦٢. بعد توقيف القتال، أُطلق في ١٩ آذار / مارس ١٩٦٢ برفقة أحمد بن بللا. اغتيل في مدريد - إسبانيا في ٤ كانون الثاني / يناير ١٩٦٧، وكان قد عارض انقلاب بومدين وفر من البلد ومعه صندوق الثورة الذي دارت حوله القصص والأساطير ومنها أنه أعطاه لحركة "فتح".

١٣١ الشاوي، "مذكرات نصف قرن..."، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٧.

١٣٢ حديث خاص مع توفيق الشاوي، القاهرة ٢٥ شباط / فبراير ١٩٩٩.

١٣٣ الشاوي، "مذكرات نصف قرن..."، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٧، ٣٨٩. كما أن عز الدين إبراهيم كان لديه المعلومات نفسها عن علاقة خيضر بحركة "فتح"، وهو كان صديقاً للشاوي ولخيضر ولخليل الوزير، وقد أخبرني أنه يعتقد أن خيضر أعطى "فتح" فعلاً المال، وإلا فأين اختفى المال منذ وفاة خيضر؟

١٣٤ أبو عزة، مصدر سبق ذكره.

١٣٥ المصدر نفسه، ص ١٢٦.

- ١٣٦ إبراهيم والشاوي، أحاديث خاصة، مصدر سبق ذكره.
- ١٣٧ المصدر نفسه، ص ١٢٩.
- ١٣٨ انضم التنظيم الفلسطيني الإخواني إلى المكتب التنفيذي في أوائل صيف سنة ١٩٦٦ وكان يمثله عبد الله أبو عزة. انظر: أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.
- ١٣٩ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.
- ١٤٠ عبد الله عزام، "حماس: الجذور التاريخية والميثاق" (باكستان، بيشاور: ١٩٨٨)، ص ٧٦.
- ١٤١ أبو مصعب السوري ومروان حديد من إخوان سورية وقد تحوّلوا لاحقاً مع عبد الله عزام إلى قادة التيار الجهادي المنطرف. وقد قُتل مروان حديد تحت التعذيب في سورية حيث اعتُقل في ١٩٧٥/٦/٣٠، وجرى اغتيال عبد الله عزام وأولاده في أفغانستان في ١٩٨٩/١١/٢٤، بينما خرج أبو مصعب سالماً من التجربة، وهو كتب مذكرات مهمة بشأن تلك المرحلة. لمعلومات تفصيلية انظر: المولى، مصدر سبق ذكره.
- ١٤٢ جرار، "الشهيد عبد الله عزام ..."، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ - ٦٣.
- ١٤٣ المصدر نفسه، ص ٦١ - ٦٣؛ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٦ - ١٢٨، ١٣٦ - ١٣٧؛ نوفل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥. وانظر بصورة خاصة: أبو عزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١، الذي يذكر معلومة تتعلق بقرار صدر عن قيادة الإخوان في الأردن بفصل الفرحان بسبب قبوله المنصب من دون استشارتهم وأخذ موافقتهم. ويرجح أبو عزة بحسب معرفته بالفرحان وبقيادات الإخوان أنه استشارهم فعلاً ووافقوا.
- ١٤٤ جرار، "الشهيد عبد الله عزام ..."، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥؛ أبو زائدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.
- ١٤٥ "فتح: بيان حركتنا"، الكراس رقم ١، سلسلة "دراسات ثورية"، كمال عدوان: فتح الميلاد والمسيرة"، مصدر سبق ذكره.
- ١٤٦ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره، "كمال عدوان: فتح الميلاد والمسيرة"، مصدر سبق ذكره.
- ١٤٧ "حركة فتح: النظام الأساسي والنظام الداخلي" (بيروت: منشورات التعبئة والتنظيم، ١٩٧٢).
- ١٤٨ "فتح: دراسات ثورية"، ص ٨٥، والاقْتباس هو من حديث للشهيد كمال عدوان.
- ١٤٩ أبو جهاد، مصدر سبق ذكره.

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

(تقارير مختارة - ٥)

المساعدات الخارجية الأميركية لإسرائيل

١٢ آذار / مارس ٢٠١٢

جيريمي م. شارب

٧١ صفحة ٥ دولارات